مقيم شعائر النظام

نصوص مسرحية

مصطفى عطية

الأدهم
للنشر والتوزيع

2012

مقيم شعائر النظام

نصوص مسرحية

مصطفى عطية

الطبعة الأولى: 2012

رقم الإيداع: 00000/ 2012

الترقيم الدولى: 978-977-6405-00-0

دار الأدهم للنشر والتوزيع

12 شارع صفية زغلول- متفرع من شارع قصر العينى،

القاهرة، مصر

ت: 01023486228 - 01150288741 - 01227885322

e mail: daladham@yahoo.com

دار الأدهم للنشر والتوزيع

المدير العام: **فـارس خضـر**

مدير النشر: **أشرف عويس**

المدير الفنى: **هنـد سمــير**

إهداء:

إلى شهداء ثورة 25 يناير 2011
وجميع أهل أرض الكنانة
صانعي ثورة اللوتس

مسرحية:

أنامل فى الشمس

إلى الفنان التشكيلي الروسي بوريس بريجنكوف
الذي تحدى بفرشاته الظلام

الفصل الأول

الزجاج يغلف الذات

المشهد الأول

(صالة فسيحة في إحدى الشقق السكنية الحديثة، حيث نرى لوحات فنية تحتل أركان الصالة، وتحمل توقيعا متكررا بأحرف إنجليزية باسم "ساهر المدني "، وفي الصالة أثاث فخم بسيط العدد، يشمل كراسي وثيرة، وطاولات أنيقة،وفي الركن الأيسر جهاز حاسوب، وتلفاز ذو شاشة مسطحة كبيرة الحجم، يعرض عليها قنوات أوروبية، وفي الركن الأيمن مرسم منسق: مسند للوحات وبجانبه طاولة عليها "باليت " الألوان، ومقعد طولي معدني، وهناك أضواء خافتة في الأركان، بينما هناك ضوء مسلط وسط الصالة فيما يكون "ساهر" مضطجعا على كنبة وثيرة مهيأة للقراءة، يقلب قنوات التلفاز، فيما تعد زوجته الشاي في فناجين فخمة مزركشة برسوم أنيقة)

الزوجة (تقدم الشاي لزوجها): الشاي يا حبيبي.

ساهر (يأخذ الفنجان ويتأمل زركشته ثم يرتشف منه): شكرا يا "غدير". هل هذا طاقم فناجين جديد؟

غدير: نعم، ما رأيك في ذوقي؟

ساهر: دائما أنت رائعة في اختياراتك.

غدير (مبتسمة): لأنني زوجة فنان تشكيلي. حقا ما رأيك في هذه النقوش؟

ساهر (يعيد تأمل الفنجان والطبق الصغير أسفله): أجمل ما فيها أنها زهور وطيور وكأننا في حديقة رحبة الأرجاء.

غدير: تعشق الطبيعة كعادتك.

ساهر (بشاعرية): بالطبع، أنا ابن الريف، وريف بلادنا: شمس

ساطعة، وغيوم نادرة، وألــوان زاهية، ووجـوه لفحتهـا الـشمس فتلونت بألوان قوس قزح.

غدير: كلماتك لوحة منطوقة.

ساهر (بضحك): أشكــرك، ولكن ألم تلاحظي أنـك دائمـة الـشراء للتحف والأواني، لقد تضخمت الخزانات في غرفة المائدة؟

غدير (متجاهلة ملاحظته): ما رأيك لو كنت أنت مـصمم هـذه التحف؟

ساهر: هل ستعودين لنغمة السوق ودنيا المصانع؟

غدير: أنـا أغـار مـن هـؤلاء المـصممين الـذين لا يملكـون مثـل أصابعك ولا رؤاك المبتكرة.

ساهر: إنني أفضّل أن أحيـا طليقـا، كـما تعلـمين، فـإن طلاقتـي جعلت اسمي رنانا وأصحاب المصانع يتسابقون عـلى شراء حـق عرض لوحاتي في تحفهم.

غدير (بمجاملة): طبعا يا حبيبي، معارضك دائما تحدث ضجة في المجتمع الفني والثقافي.

ساهر (مستمتعا بالكلام ؛ مدحًا فيه، مشيرا إلى بعـض الـصحف أمامه): انظري يا غدير إلى تسارع الـصحف والمجـلات ومراسـلي القنوات لتغطية معرضي الأخير.

غدير (بفخر): ويكفي أنهم يتسابقون على شراء لوحاتك.

ساهر: أنا الآن اسم رنان له ثقل على الساحة، ولـست في حاجـة لعمل تصميمات السجاد والملابس والأواني.

غدير (مصدقة على كلامه): أنا أفخر بأنك زوجي.

ساهر (يعود لمشاهدة التلفاز): أنا سـعيد أنـني عـشت في هـذا العصر.

غدير: **(مستفهمة)**: كيف؟
ساهر: أشعر أنني أعيش العالم كله، وسط منجزات التكنولوجيا: تلفـزيون وكومبيوتر وإنترنت وألف قناة فضائية.
غدير (مسايرة له): آه، صح.
ساهر: (مستكـملا) : إن "إيميـلي " يستقـبل عشـرات الرسـائل يوميا، من أنحاء العالم، تجربتي تحمل تميزا كبيرا، جـذبت أنظـار الناس.
غدير: كانت خطوة موفقة منك يـا سـاهر أنـك وضـعت صـور لوحاتك كلـها في موقع خاص بك على الإنترنت.
سـاهر (مـرددا): www. Saher Madny.com، فيـه آلاف الزيـارات شهريا.
(يصمت ثم يكمل)
ساهر: تخيلي يا عزيزتي أنني لو كنت أعيش في زمن سـابق بمئـة سنة أو خمسين سنة مثلا، هل كنت سأجد هذه الشهرة، في البلد وخارجه.
تغريد (مؤكدة): لا طبعا، أنـت في عـصر العولمـة وتفجّـر ثـورة الاتصالات. فلا يمكن سرقة لوحاتك، فهي معروفة، وموجود أمـام كل لوحة اسم من اقتناها. إنه موقع رائع يا ساهر.
ساهر (وهو يفرك عينيه بتعـب): أشـعر أنـني محظـوظ، وقـد استفـدت كثيـرا من التكنولوجيـا، والغريب أن الفنـانين زمـلائي لا يفهمون حتى الآن هـذا التوجه.
(يدخل "هيثم " الابن وهو طفل في سن العـاشرة تقريبـا، يبـدو عليه الذكاء والحيوية، وبيده كراس رسم، وبعض الأقلام الملونة)
هيثم: أبي، أبي..

(يتهلل وجه ساهر، ويسرع باحتضان الابن)

ساهر: أهلا حبيب قلبي الغالي.

هيثم: أنا أحبك بحجم البحر في الأرض.

ساهر (متعجبا): أي بحر تقصد؟ الأحمر، المتوسط، الأسود..؟

تغريد (مبتسمة): أبوك يا هيثم يتساءل عن أي لون من البحار تقصد؟

هيثم (ضاحكا): ولماذا تسألني عن لون البحار؟

ساهر: بصفتي فنانا تشكيليا، محترفا في التعامل مع الألوان، وبصفتك ابني الذي يعشق الفن مثلي.

هيثم (ببساطة): أنت وماما أدخلتني في ألوان البحار، ولا أعرف السبب في ذلك!

تغريد: وماذا كنت تقصد أيها الشقي؟

هيثم: أنا قلت البحر في الأرض، ولم أحدد بحرا معينا.

ساهر: ولماذا لم تقل المحيط وهو أكبر من البحر؟

هيثم (متظاهر بالعلم): حسب معلوماتي الجغرافية فإن البحر يطلق على كل ما هو مالح، وهذا يشمل البحر والمحيط والبحيرة.

تغريد (صارخة بفرح): تعبت منك أيها الفيلسوف، جننتني بجدالك.

هيثم (بفخر وكأنه يواصل عرض معلوماته): وهذا يعني يا أمي الحبيبة، أنني أحب أبي بحجم الماء الذي في الكرة الأرضية كلها.

ساهر (يضحك): يا لك من شيطان صغير!

هيثم: كنت متوقعا أنكما لن تنتبها لما سأقول، ولكنني لم أتوقع أن تسألني يا أبي عن لون البحر، ولكنني توقعت سؤال أمي.

ساهر: إذن، وماذا أعجبك في سؤالي؟
هيثم: أعجبني أنك نبهتني إلى ألوان البحار، حتى أبحث عن سبب تسميتها.
ساهر: واعلم أيضا، أن لها من تسميتها جزءا من الواقع.
هيثم: تقصد أن البحر الأسود ماؤه أسود!
ساهر (مبتسما): لا، إن ماءه عادي، ولكن ضوء الشمس لا يصل إليه بسبب كثافة السحب والضباب، فيبدو ماؤه أسود.
هيثم: إنها معلومة جديدة تماما يا أبي، فالماء مثل المرآة يعكس لون السماء، فيمكن أن نرسم الماء وهو يعكس ألوان السماء وما فيها. هذه فكرة للوحة جميلة.
ساهر: ويمكنك أن ترسم الماء وهو يعكس الجبال ذات الحمرة الداكنة التي تطل عليه، مثل ماء البحر الأحمر.
هيثم: تدهشني يا أبي بمعلوماتك. أنت دائما رائع.
تغريد: أبوك فنان كبير مشهور، ولم يصل لهذا إلا بسبب ثقافته الكبيرة.
ساهر (وهو ينظر إلى كراسة الرسم بيد هيثم): ماذا كنت تريد مني أيها الفنان الصغير؟
تغريد: لاشك، أنه سيطلب منك أن تعلمه كيف يرسم شيئا.
هيثم: صحيح يا أمي، هذا ما أريده.
ساهر: وماذا تريد أن أرسم لك؟
هيثم: أريد أن تعلمني كيف أرسم رجلا جالسا القرفصاء.
ساهر: لقد شرحت لك هذا من قبل، وعلمتك كيف ترسم الأشخاص.
هيثم (بأسف): صحيح، ولكنني فشلت في رسم الرجل القرفصاء.

تغريد: وما الصعب فيه يا هيثم؟
هيثم: رسم الأرجل في هذا الوضع.
ساهر: هل طلبت منك المعلمة ذلك في المدرسة؟
هيثم: لا، ولكنني أردت أن أرسم تمثال الكاتب المصري القديم، الذي كان يجلس القرفصاء وهو يكتب.
ساهر: ولماذا تريد رسمه؟
هيثم: عندما شاهدت التمثال أعجبني فقرأت عنه، فأعجبني أكثر، وخطرت لي فكرة، لماذا لا أرسم التماثيل بدلا من الصور والمناظر.
(أمسك ساهر بالكراس والقلم الرصاص، وأسرع برسم الرجل الجالس القرفصاء، وهيثم يتأمله، فيما راحت تغريد تتصفح إحدى المجلات)
ساهر: إنك تعيدني يا بني إلى الرسم بالقلم، وهذه متعة كبيرة.
(يرسم وهو يشرح لابنه) انظر يا هيثم، كيف أبدأ برسم الفخذ وتعرجاته، ثم رسم الساق والقدم، وهما متلاقيان على بعضهما.
هيثم: رائع يا أبي.
ساهر: وانظر أيضا **(يواصل الرسم)**، سأرسم اللوح وورقة البردي التي عليه.
هيثم: ما هذا يا أبي؟ لقد رسمت التمثال كله، كما هو في الطبيعة.
ساهر: وماذا في ذلك؟
هيثم: كيف رسمته، وهو غير موجود أمام عينيك؟
ساهر: من ذاكرتي.
هيثم: معقول، تتذكر كل تفاصيله.

ساهر: لابد أن تحفظ ذاكرة الفنان التشكيلي الصور وتختزنها دائما.
هيثم: يعني أنت ترسم من ذاكرتك!
ساهر: نعم، هل أضع شيئا أمامي؟ لا، وكل رسوماتي على الكومبيوتر من ذاكرتي.
هيثم: سأدرب ذاكرتي أن تختزن صورا وتماثيل كثيرة.
ساهر: بل دربها على أن تختزن كل ما حولك في الحياة، الناس، الطبيعة، الصور، كل شيء.
هيثم (يقفز): سأفعل يا أبي، سأفعل.
(يخرج هيثم، ويعود ساهر إلى تغريد التي تترك المجلة)
تغريد: الولد متعلق جدا بك.
ساهر: طبيعي، وهو موهوب في الرسم، وأريد أن يكتشف ذاته، ويتعرف كل يوم على الجديد في الفن.
(يغيّر الحديث وهو يغلق عينيه ثم يفتحهما بألم): آه، آه، عاد الألم لعيني من جديد.
تغريد: ماذا بك يا ساهر؟
ساهر (متألما): عيناي تؤلماني بشدة، المناظر تتراقص في نظري.
تغريد (معاتبة): أنت مقصر في صحتك يا ساهر، قلت لك اذهب للطبيب، ولا فائدة، أنت تشتكي من عينيك منذ فترة.
ساهر: الإرهاق هو السبب.
تغريد: طبعا، أنت بين التلفزيون والكومبيوتر.
ساهر: هكذا الحياة العصرية، شاشات زجاجية.
تغريد: حتى القراءة، تركت الكتب والمجلات، وتجلس بالساعات على الكومبيوتر والإنترنت. أنا أغار من الكومبيوتر.

ساهر: يا تغريد، يا حبيبتي، لا يمكن أن أكون إنسانا عوليا دون تلفزيون وإنترنت وموبيل. انتهى عصر الأوراق.
تغريد: معقول، وهل سينتهي عصر الزيت والقماش؟!
ساهر: آه، تقصدين..
تغريد: طبعا، أقصد أنك لم تعد ترسم بالفرشاة ولا بيدك، انصرفتَ منذ فترة إلى رسومات الكومبيوتر.
ساهر: إنها المستقبل.
تغريد: كنت دائما، تحادثني وأنت تمسك الفرشاة، وفي اليد الأخرى الباليت... رحم الله هذه الأيام.
ساهر: معقول يا تغريد، تشعرينني بالذنب لأنني أساير موجات الحداثة التشكيلية في العالم. في أمريكا، الكل يعمل ببرامج الكومبيوتر في الفن.
تغريد: ولكنك تقضي يومك أمام هذه الشاشة الزرقاء، لقد تعبتُ من تعلقك بها.
ساهر: آه، فهمت سر ثورتك، يا حبيبتي، هذه ضريبة عصرنا التكنولوجي. ولا تنسي أنك مشغولة عني بعلاقاتك الاجتماعية الواسعة، وكما تقولين لي دائما، الحياة العصرية أساسها شبكة العلاقات والأصدقاء.
تغريد: هل تنقل الكرة لملعبي يا ساهر؟
ساهر: أبدا، ولكن حالنا متشابه يا عزيزتي، أنت تعيشين عصرنا الحديث بطريقتك الأنثوية.
تغريد: أنا عضوة في جمعيات المرأة وتنمية المجتمع، وهي مهمة لك كفنان ناجح، ومهمة لي بصفتي ناشطة في حقوق المرأة.
ساهر (بسخرية خفية): كلهن يقلن هذا لأزواجهن، وتبقى

المسألة مظاهر.
تغريد (بغضب): ساهر! أنا أخدم مجتمعي.
ساهر: لا تغضبي عزيزتي، أعلم أنكن تخدمن المجتمع بمشروعات خيرية كثيرة وحفلات على أعلى مستوى في الأناقة.
تغريد: طبعا، وهل تريدني أن أكون ظلا لك في المنزل؟!
ساهر (مستسلما): أبدا، أنا مؤمن بحقوق المرأة كلها.
(يفرك عينيه): أكاد لا أرى بعيني، الصورة في التلفزيون مهتزة.
تغريد: لابد أن تذهب للطبيب.
ساهر: سيحدث.

المشهد الثاني

(عيادة طبيب العيون، اللون الأبيض يغلب على أثاث الحجرة، حيث نرى فيها أثاثا مكونا من مكتب، وجهاز قياس النظر، وطاولة عليها أجهزة فحص العيون، وبعض الأدوية، الطبيب منهمك في فحص عيني ساهر بدقة)

الطبيب: أستاذ ساهر، لماذا أهملت علاج عينيك؟

ساهر: ماذا تقصد يا دكتور؟

الطبيب (متلطفا): يبدو أنك تشتكي منذ زمن.

ساهر (بقلق): وهل حالتي خطيرة إلى هذا الحد؟

الطبيب: أبدا، وستكون بخير إن شاء الله. وقصدي أن حالتك تستدعي الاهتمام بالعلاج منذ أن بدأت عيناك تتعباك.

ساهر: (مستفهما) إلى هذه الدرجة يا دكتور، حالتي سيئة؟

الطبيب: لا عليك، سأقوم باللازم، المهم أخبرني عن طبيعة عملك يا أستاذ ساهر؟

ساهر: فنان تشكيلي، أنا ساهر المدني.

الطبيب: أهلا وسهلا بك.

ساهر (مستنكرا): ألم تسمع عني؟

الطبيب (مجاملا): وهل يخفى القمر يا أستاذ ساهر!

ساهر: بصدق، ألم تسمع عني، أنا من أشهر التشكيليين في البلد.

الطبيب: في الحقيقة أنا غير متابع للفن التشكيلي بشكل عام.

ساهر: ألا تتابع الصحافة؟ ألا تشاهد التليفزيون؟ أخباري دائما في البرامج الفنية والثقافية.

الطبيب: جميل أن أتعرف عليك، ولكنني أتابع الأخبار عموما،

دون الغوص في التفاصيل، فكما تعلم مشاغل طبـــيب العيـون، كما أن اهتماماتي ليس منها الفن التشكيلي.

ساهر: آه..

الطبيب: ولكنني محب للقراءة، وعاشق للطبيعـة، ولي هوايـات كثيرة، حتى لا تظن أنني غير مثقف.

ساهر: لم أظـن هذا، بالعكس، فإن صـديقي "هـشام" الـصحفي، امتدحك لي بشكل كبير، ومما قاله إنك طبيب جـامع التفـوق في الطب والثقافة الرفيعة.

الطبيب: الأستاذ عـلي مـن أقـرب المقـربين لي، وبيننـا حـوارات فكرية وثقافية.

ساهر: حسنا يا دكتور، كيف سيكون علاجي؟

الطبيب: أول مرحلة في العـلاج هـي أهمهـا، أريـدك ألا ترهـق عينيك بشكل عام، فلا داعي لإجهادها.

ساهر (متعجبا): كيف؟! إن حياتنا الحديثة أساسها النظر. أخبرني عن عمل يمكن أن يكون بلا نظر!

الطبيب: ليست حياتنا الحديثة فقط، بل حيـاة الإنـــسان منـــذ ولادته وحتى موته تعتمد على البصر، إنـه حاسـة أساسـية مـن الحواس الخمس.

ساهر: صحيح، وحياتنا الآن، كلها تعتمد على الـعين، في القـراءة والكومبيوتر والتلفزيون وكل شيء.

الطبيب: هذا ما أقصده، لا ترهق عينيك في القراءة ولا مشاهدة التلفـــزيون والكومبيوتر، فلا تمكث أكثر من ساعة في اليوم أمام هذه الأجهزة. إن القرنية لديك مجهدة للغاية.

ساهر (ضـاحكا): هذا آخر ما كنت أتوقعـه. يـا دكتـور، لـو كـل

الناس استغنت عن العين، فلا يمكن للفنان التشكيلي أن يستغني عنها.

الطبيب: لم أقل أن تستغني عنها، أقول: لا ترهقها.

ساهر: يا دكـتور، إن حياتي أساسها البصر، إبداعي الفني يعتمـد على البصر واليد والعقل، عيني حياتي، وبدونها لا حياة.

الطبيب (موافقا): صحيح، والحمد لله على نعمتها.

ساهر: وأنا منذ سـنوات أنجز عـلى الكومبيوتـر إبـداعي الفـني، ومن الممكن أن أقضى يوما كاملا أعمل.

الطبيب: هذا إجهاد شديد، لا يتناسب مع حالتك أبدا.

ساهر (بعصـبية): وماذا يتناسب مع حـالتي..المستعـصية؟ هـل تريدني أن أموت...، إن الرسم حياتي، وحياتي هي الرسم.

(يصمت ملتقطا أنفاسه): كيـف يمكنني ألا أجهـد عينيّ؟ كيـف لا أقرأ، لا أرسم..، كيف أنعزل عن التواصل مع العالم كله، هؤلاء الذين يزورون موقعي، ويناقشونني في أعمالي على الإنترنت؟!

الطبيب: من الممكن أن ترسـم بالفرشـاة، ورشّـد حياتـك، دائمـا المريض يحتاج إلى علاج، وأنت لديك مرض في القرنيـة يـا أسـتاذ ساهر..

(ثم يقول برقة): أرجوك يا أستاذ ساهر، أنا أعلـم أن مـا أطلبـه صعب عليك، ولكن دائما المرض يجبر الإنسان على ما يكره.

ساهر (يحـاول الهـدوء): حـسنا، وهـل سيـستمر هـذا الوضـع طويلا؟

الطبيب: هذا يتوقف على التزامك بالدواء وعدم الإجهاد.

ساهر (بعصبية مكبوتة): متى سينتهي هذا لو التزمت بالعلاج؟

الطبيب: بعد ستة أشهر تقريبا، ويمكن أن تكون أكثر مـن هـذا،

والشفاء من الله.
ساهر (مستسلما): أمري إلى الله.
(يضغط الطبيب على زر أمامه، فيدخل مساعده، فيقوم الطبيب بإعطائه ورقة يأخذها المساعد وهو ينظر فيها بسرعة)
الطبيب لمساعده: قم بإعداد نظارة لي الآن، حسب هذه المواصفات، اترك كل ما في يدك وأنجز هذا النظارة بسرعة، وأظن أن هذه المواصفات ستجد عدساتها بسهولة.
المساعد: حسنا يا دكتور. **(يخرج المساعد)**
ساهر: نظارة! سألبس نظارة؟!
الطبيب: من الطبيعي أن تلبس نظارة، فهي تقوي النظر وتريحه، خاصة أنك في منتصف الأربعينيات من العمر، وتحتاج إلى نظارة في هذا السن.
ساهر: لا أحب شيئا يوضع على أنفي.
الطبيب: حالتك تستدعي النظارة، وعليك ألا تخلعها أبدا.
ساهر (بمرارة): لا أخلعها!
(ينشغل الطبيب بكتابة الدواء، ثم يقطع الورقة من الدفتر، ويعطيها لساهر)
الطبيب: وهذا الدواء تسير عليه بانتظام، وأحتاج إلى أن تراجعني كل أسبوع، وإذا شعرت بتعب، لا تتردد في الاتصال أو المجيء لي.
ساهر: وما الدواء؟
الطبيب: بسيط، قطرة للعين وكبسولات، ولا تنزعج من كثرة الدواء، فهذا برنامج علاجي مكثف.
ساهر: أكثر شيء كنت أكرهه الالتزام بدواء.

الطبيب: يا أستاذ ساهر، المرض اختبار للنفس بشكل عام، يستوي في ذلك المرض البسيط والخطير.
ساهر: أنت تميل للفلسفة يا دكتور.
الطبيب: أبدا، هذه حقيقة.
ساهر: هل تريد أن تساوي بين الصداع وتعب العين؟
الطبيب: الصداع يمنعك من التفكير والتركيز، ولو استمر معك سيجعلك محروما من النوم، ومن الاستمتاع بأي لذة: طعام وشراب وقراءة ومشاهدة التلفزيون.
ساهر (متبرما):..... آه.
الطبيب: وقس على ذلك أي مرض.
ساهر: ولكن حياتي في عيني.
الطبيب: لست وحدك تقول هذا، كلنا لدينا نفس الإحساس، وأنا كطبيب عيون، هل من الممكن أن أعمل بلا بصر؟ وكذلك الميكانيكي والنجار...
ساهر: كلام مضبوط.
(طرقٌ على الباب، ثم يدخل المساعد حاملا النظارة، ويقدمها للطبيب الذي يتناولها ثم يقدمها إلى ساهر)
الطبيب: تفضل يا أستاذ ساهر، البسها، أظنها مناسبة لوجهك؟
ساهر (يضع النظارة على عينيه ويضبط وضعها): أظنها على مقاسي.
الطبيب: تأكد من وضع "الشامبر" على قنطرة أنفك.
ساهر (يعيد ضبط النظارة): جيدة يا دكتور.
الطبيب: اخترت لك "شامبر" من العاج فهو أخف.
ساهر: شكرا يا دكتور.

الطبيب: إن شاء الله تتحسن حالتك.
ساهر: أتمنى ذلك. هل هناك شيء آخر؟
الطبيب (يقوم من مجلسه، مادا يده): أبدا، أرقام هواتفي في ورقة العلاج، أرجو أن تطمئني على حالتك.
(يهم ساهر بالانصراف)
الطبيب: في انتظار اتصالك. أريدك أن تشرح لي نظام حياتك الجديد، هذا أهم شيء في العلاج.
ساهر: نظام حياتي الجديد!
الطبيب: نعم، كيف ستقضي وقتك، وتنجز إبداعك، وإن لم تتصل سأتصل أنا، وستجدني صديقك قبل أن أكون طبيبك.
ساهر: لم أفكر بعد.
الطبيب: فكّر إذن، ويهمني أن أكون معك في تنظيم حياتك، وأرجو أن نكون أصدقاء في الحياة، بعيدا عن الطب ومشكلاته.
ساهر (متسائلا): أصدقاء؟!
الطبيب: طبعا، نحن في النهاية مثقفان، ومن الممكن أن أهتم بالفن التشكيلي على يديك.
ساهر (بضيق): قد لا يكون هناك فن من الأساس.
الطبيب: لا تقل هذا يا رجل ، لا تيأس.
ساهر (وهو ينصرف): بل أنا يائس.

المشهد الثالث

(ديكور عيادة الطبيب، ساهر وزوجته والطبيب)

ساهر: دكتور إيهاب، لا أشعر بأي تقدم.

الطبيب: بم تشعر؟

ساهر: لم أعد أفرق بين الألوان، ولا الفواصل والخطوط.

الطبيب: كما قلت لك وأؤكد: إن حالتك تستلزم صبرا.

ساهر: وما حالتي بالتحديد؟ هل من الممكن أن تطمئنني؟

الطبيب: اطمئن يا أستاذ ساهر، المهم أن تلتزم بالدواء وعدم إرهاق عينيك.

ساهر: لم أعد أشاهد التلفزيون، وقاطعت الكومبيوتر، لقد عدت إلى زمن ما قبل الشاشات.

الطبيب (مغيرا الموضوع): أخبرني، كيف تقضي وقتك؟

ساهر (بعصبية): وقتي! أنا مشغول بألم عينيّ، وألم نفسي، لقد خاصمت لوحاتي، وجمهوري، واكتفيت بالتمدد على الكنبة، لوضع القطرة.

الطبيب: سنغير اليوم النظارة.

ساهر: هذه هي المرة الرابعة لتغيير النظارة.

الطبيب: أخبرتني أن هناك تحسنا في كل مرة أغير فيها العدسات.

ساهر: صحيح، هناك تحسن، ولكنه وقتي، وقد تلاشى الصداع الذي كنت أشعر به دوما.

الطبيب: إذن، نحن نتقدم.

تغريد (متدخلة في الحديث): دكتور، هل يمكن - بعد إذنك -

أن نعرض حالته على أطباء في أوروبا؟
الطبيب: يا مدام، لقد راسلت بالإنترنت أمهر الأطباء، وعرضت حالته عليهم، وقد اتفقوا على برنامج العلاج الذي وضعته.
تغريد: والله يا دكتور، نحن لا نشكك في قدراتك، فأنت من أشهر أطباء البلد كلها ولكن ربما يكون هناك دواء أكثر فاعلية لم يصل إلى بلدنا بعد.
الطبيب: لكِ ما تشائين، حتى تطمئنوا بأنفسكم.
ساهر: أنا واثق من مقدرتك وعلمك يا دكتور إيهاب.
الطبيب: إذن، استمع لكلامي.
ساهر (بسخرية): وهذا ما أفعله، فليس أمامي غير ذلك.
تغريد: ساهر، إن الدكتور يقصد أن تلتزم بالعلاج بهمة وحماسة.
ساهر (مواصلا سخريته): بهمة وبحماسة.. حلو هذا الكلام يا تغريد.
الطبيب (برفق): هناك فرق بين أمرين، نفسي وجسدي.
ساهر: وما هما؟
الطبيب: الأمر الأول: أن تتعالج علاجا جسديا بالأدوية وما شابهها..
ساهر: وهذا ما يحدث فعلا.
الطبيب (موضحا): والأمر الثاني أن تعزز الجانب النفسي في أعماقك.
ساهر: وما فائدة الجانب النفسي يا دكتور؟ هل سيعيد نظري إليّ؟
الطبيب (ببساطة): أقصد بالجانب النفسي الإرادة.
تغريد (مصدقة على كلامه): وهي الهمة يا ساهر.

ساهر: حسنا، وماذا لو امتلكت الإرادة؟
الطبيب: ستتحسن حالتك الصحية بلاشك.
ساهر: وسيعود إليّ نظري بلاشك!
الطبيب (موضحا): أيها الفنان العظيم، إن التسلح بالإرادة في العلاج يؤدي إلى سرعة الشفاء.
ساهر: تعودتُ يا دكتور أن أتعامل مع الفرشاة والألوان واللوحة، أو برامج الكومبيوتر الفنية.، وكلها لا تعرف إلا شيئا واحدا، وهو البصر.
تغريد: كم كنت فنانا رائعا وعظيما.
ساهر (هازئا): أنت تقولين كنت..!
الطبيب: وهل كان يمكنك إبداع لوحة دون رغبة منك؟
ساهر: لا طبعا.
الطبيب: وهل هناك رغبة دون استعداد نفسي؟
ساهر: لا.
الطبيب: وهل هناك فكرة وإنجاز دون تفكير متمهل وتمعن؟
ساهر: لا.
الطبيب: نفس الأمر مع العلاج، لا دواء دون رغبة، ولا رغبة دون استعداد نفسي، ولا شفاء دون تفكير، وتقبّل الحالة والاستعداد لها. فالشفاء ليس عقاقير فقط، إنه عقاقير ورغبة وإرادة.
تغريد: أنت فيلسوف يا دكتور.
الطبيب: شكرا.، لقد شاهدت الكثير من الحالات، وكم كان أصحابها يائسين من العلاج!
ساهر: وهل شفوا جميعا؟

الطبيب: الكثير منهم شُفي.
ساهر: والباقون؟
الطبيب: تحسنت حالاتهم كثيرا، وتعايشوا مع مرضهم.
ساهر: وهل هناك مثل حالتي..عولجت؟
الطبيب (متفاجئا بالسؤال): بل هناك الأسوأ، وتحسّن.
ساهر (بغير اقتناع): أشعر أن إجابتك مطاطة، عائمة، أو بـالأدق دبلوماسية.
الطبيب (بصبر): أنا أتكلم بشكل عام، لكل حالة حديث.
تغريد: أشكرك يا دكتور.
الطبيب: أهلا بكما دائمـا. **(متوجهـا لـساهر)**: وأرجـو أن نكـون أصدقاء.
ساهر: أشكرك يا دكتور .

المشهد الرابع

(نفس ديكور شقة ساهر، وشاشتا التلفزيون والكومبيوتر منطفئتان، ونرى المكان فوضويا، وساهر يتنقل في الغرفة، تارة يجلس وتارة يقف، واضعا النظارة، وهو ينفخ بقرف)

ساهر: لم أتوقع أن أكون في هذه العزلة أبدا.

تغريد: حبيبي! أي عزلة؟

ساهر: بيني وبين العالم حواجز زجاجية بسبب هذه النظارة.

تغريد: إنها لفترة من الزمن، لفترة العلاج فقط.

ساهر (يزفر بقرف): أي علاج؟ مضت شهور ولا أشعر بأي تقدم، بل الوضع يزداد سوءا. أمامي العالم ولا أستطيع أن أتواصل معه، ولم أعد أشعر بالزمن. الأيام متشابهة، بدأت أغرق في السواد.

تغريد: اهدأ حبيبي، الدكتور ينصحك بالصبر.

ساهر (ساخرا): الطبيب! ما أشد كرهي للأطباء! يتعاملون مع المرضى ببرود شديد، لا يشعرون بآلامهم، ولا بمعاناتهم.

تغريد: ولكن الدكتور "إيهاب" مختلف عنهم جميعا، إنه رقيق، ومهذب، ومثقف، ومتعاطف معك كثيرا.

ساهر: وما قيمة كل هذا؟

تغريد: أنت استشرت غيره، ثم عدت إليه، فقد اتفق الجميع على أن علاج الدكتور إيهاب دقيق، ومضبوط.

ساهر: نعم قالوا هذا، ولكنهم لم يقولوا الحقيقة.

تغريد: أي حقيقة تقصد؟

ساهر: حقيقة مرضي، لا أعلم لماذا يقولون دائما: سِرْ على العلاج، ولكن لا يقولون حقيقة مرضي. ماذا بعينيّ؟ هذا ما لا أعرفه.

(يتهدج صوته إلى حد البكاء): ولكنني على قناعة تامة، أنني أسير للهاوية، نعم، الهاوية، قبل أشهر كنت أشعر بزيغ في البصر، ثم تطور الأمر إلى تداخل الألوان، ثم تطور إلى...

(يعلو نشيجه): إنني لا أري حدود الأشياء وفواصلها...، تتداخل أمام عيني، لا أميّز بين الكنبة والمقعد، الكومبيوتر والتليفزيون.

تغريد (مبهوتة): هذا بدون النظارة، ولكن النظارة حلت المشكلة.

ساهر (بدمعات مترقرقة): منذ أسبوع، صار الأمر سيان، بالنظارة أو بدون النظارة، تصبح الأشياء هلامية في عيني. إنني أضيع، إذا وقفت في الشرفة، لا أجد إلا سحابا، ونقاطا سوداء في الشارع.

تغريد: اهدأ، اهدأ.. سيشفيك الله.

ساهر: اخترت أن أسكن في الدور الثاني عشر، حتى أتأمل المدينة، كنت في غاية السعادة، عندما أجد عالم البشر في زحامهم، وصخبهم، وتداخلهم مع السيارات، الآن أراهم مزيجا أسود.

تغريد (باكية): إنها أعراض المرض.

ساهر: لا، إنها المراحل الأخيرة من المرض.

تغريد: أنت تهمل في العلاج.

ساهر: وما جدواه؟! أن ألتزم بدواء أعلم أنه بلا فائدة، حبيبتي، إنني متجه إلى اللاشيء، إلى الظلام..

تغريد (باكية): لا يمكن...

ساهر: حقيقةً، المريض خير من يعلم حالة نفسه، وأنا أعلم حالتي، وكل كلام الأطباء لا قيمة له. أنا أطبب نفسي، وأعلم أن حالتي تتدهور.

تغريد: أرجوك، لا داعي لليأس، اليأس يقضي على أي تحسن.

العلاج أساسه نفسي....، عموما لقد اتصلتُ بالطبيب.
ساهر (يقاطعها صارخا): لا أريده، لا أريد أي أطباء، لن أذهب.
تغريد: لقد وعد أن يحضر إلينا.
ساهر: هل أعلمتِه أنني غير راغب في الذهاب إليه؟
تغريد: أنا شرحت له...
ساهر: ماذا قلتِ له؟
تغريد: حبيبي أنا معك لحظة بلحظة، وأشعر بما تشعر بـه، ولـو لم تقل لي. ولعلمك يا حبيبي، لقد أرسـلت صـورا مـن تقـاريرك الطبية إلى لندن، مع صديقة لي، وجاء الرد أن نتبع نفس البرنامج العلاجي المقرر.
ساهر (بحزم): وماذا قالوا لك يا تغريد عن حالتي؟
تغريد (بتردد): إنها... إنها... إنها مشاكل في القرنية.
ساهر: نفس ما قالـه الأطبـاء، ومـا يـردده الـدكتور إيهـاب. مـا حقيقة مرضي؟ أريحيني يا حبيبتي؟
تغريد (برقة): أنت لم تقصر في شيء، والشفاء من الله.
(رنين جرس الباب)
تغريد: يبدو أن الدكتور إيهاب قد وصل.
ساهر: لا أرغب في لقائه.
تغريد (بعتاب رقيق): هل ترفض لقاء ضيفك؟
ساهر: أرجوكِ، اتركوني بمفردي، دعوني لمصيري.
(تنصرف تغريد لفتح الباب، حيـث يـدخل الطبيـب والـصديق "علي")
الطبيب: السلام عليكم، كيف حالك يا أستاذ ساهر؟
ساهر: سيئ.

علي: لا تقل هذا يا ساهر.
الطبيب: ساهر، لقد جئت أزورك بعدما رفضت أن تحضر لي في العيادة، لماذا كل هذا اليأس؟
ساهر: سؤال واحد يا دكتور: ما حقيقة مرضي؟
الطبيب: مشكلات في القرنية.
ساهر: أرجوك، تعبت من هذه الإجابة، ماذا بالتحديد في القرنية؟
الطبيب: هذه أمور طبية دقيقة ومعقدة لا داعي لشرحها.
ساهر: ولماذا تتدهور حالتي يوما بعد يوم؟
الطبيب: المشكلة فيك أنت، تريد أن يكون العلاج فوريا، عاجلا، وأنا قلت لك مرارا إنه يستغرق وقتا.
ساهر: صحيح؟! لقد أخبرتني أنني سأشفى خلال ستة أشهر، وها قد مرت خمسة، وبدلا من التحسن أسير للأسوأ.
علي: ما هذا التشاؤم؟ لقد كنت محبا للحياة.
ساهر: التشاؤم! إنها كلمة مهذبة، والكلمة الحقيقية المناسبة لحالتي الآن: الإحساس بالموت.
علي: هل أنت الذي تقول هذا؟ وقد كنت تقول إننا نحتاج إلى ثلاثة أعمار إضافية حتى نستمتع بدنيانا.
ساهر: لا تذكّرني. ألا يعيش الميت في ظلمة؟ وهي ظلمة القبر، أنا أسير إليها، ولكن الفرق بيني وبين الميت أنه مقبور تحت الأرض وأنا أتحرك فوقها.
الطبيب: بم تشعر الآن؟ أنت لم تزرني منذ شهر.
ساهر: لم أعد أرى إلا الأشياء، كلها هلامية في نظري، ضاعت الخطوط والفواصل والألوان، لم أعد أميز بين الأحجام، حتى

لوحاتي المعلقة على الحائط أمامكم، صارت خليطا لونيا كريها، خليط غالب عليه السواد. بم تفسر هذه الحالة يا دكتور؟

الطبيب: إنها.. **(يصمت)**

ساهر: إنها ماذا؟

الطبيب: لاشك أن هناك تدهورا في حالتك، ولأنك لم تراجعني، واكتفيت بالانكفاء على نفسك، فقد ساءت حالتك كثيرا، أنصحك أن تعود للعلاج.

علي: وقبل أن تعود للعلاج، فكّر قليلا في الخيارات المتاحة أمامك، هل هناك خيارات أخرى غير العلاج؟

ساهر: علي، أنت تتحدث بطريقة السياسيين.

علي: أنا أحاول أن أوقظ العقل الذي قتلته بيأسك.

ساهر: موافق أن أعود للعلاج بشرط.

علي: وما شرطك؟

ساهر: أن أعلم حقيقة مرضي بالضبط.

الطبيب: قلتها لك.

ساهر: أستحلفك بالله يا دكتور.

علي: وماذا سيفرق معك أن تعرف أو لا تعرف؟

ساهر: حتى أعلم أين أقف بالتحديد، وبعدها سأحدد مصيري بنفسي، وأطبب نفسي، وأحدد خياراتي، وأقرر. هل هناك قرار صحيح بمعلومات مغلوطة أو ناقصة؟!... وأنا معلوماتي منعدمة.

الطبيب: لو قلت حقيقة مرضك، قد تكون العاقبة أسوأ في نفسك.

ساهر: لا، لقد اعتدت الوضوح في حياتي، كلما كان الأمر واضحا، ارتحت كثيرا، وفكرت بشكل هادئ.

علي: جميل منك أن أسمع هذا الكلام، وأرى أن تقـول الحقيقـة له يا دكتور.
تغريد (صارخة بعد صمت): لا، لا..
ساهر: تغريد أنت تعرفينها إذن.
تغريد: أرجوكم لا تخبروه، أرجوكم.
ساهر: تغريد، اخرجي الآن.
تغريد (منهارة): لا تخبروه، لا تخبروه.
علي (يهدئها): اخرجي الآن، ونحـن سـنعالج الأمـر، اذهـبي إلى غرفتك يا تغريد، أرجوكِ.

(تنصرف تغريد وهي في حالة بكاء هستيري)

الطبيب: سأقولها لك، لعل معرفة الحقيقة في حالتـك خـير مـن كتمانها. أنت مصاب بتآكل في القرنية، وهو يزداد يوما بعد يوم.
ساهر (يحـاول الجلـوس عـلى أقـرب مقعـد): مـا أقـسى هـذه الحقيقة! وما أشدها ألما على نفسي! الآن ارتحت.
علي: ارتحت! كيف؟
ساهر: الآن، علي أن أستسلم للموت وأنا أحيا.
الطبيب: ولكنك لم تسـألني عن إمكانيات العلاج.
ساهر: هل ستصلح قرنيتي يا دكتور؟
الطبيب: لا، ولكن من الممكن الحد من هذا التآكل، ويمكن أن...
ساهر: وبالطبع الدواء الذي تناولته لأشهر كان يهدف لهذا.
الطبيب: نعم.
ساهر: وماذا كانت نتيجته؟! لا شيء، المزيد من التآكل.
الطبيب: هذا لا يعني اليأس.
ساهر: وماذا يعني؟ قل لي يا "علي".

علي: يعني أن تقاوم، وتقاوم..
ساهر: أقاوم ماذا؟ ولماذا؟ الفنان التشكيلي حياته وإبداعه ومستقبله في بصره، وفجأة، ترى هذا البصر ُيسحَب منك تدريجيا، نقاوم ماذا؟
الطبيب: من الممكن القيام بزرع للقرنية، ولكن هذا يحتاج إلى وقت، ومتبرع، وكما تعلم فإن هذه العملية مكلفة جدا، ونسب نجاحها غير كبيرة.
ساهر: جميل هذا العلاج. ومن يتبرع بقرنيته لي، من يقبل أن يعيش أعمى؟ ممكن أن يتبرع بكليته أو يبيعها، ولكن لا يمكن أن يتبرع بقرنيته.
الطبيب: ممكن أن نحصل عليها من الموتى.
ساهر: أمل زائف.
الطبيب: المشكلة في القوانين المعمول بها في بلادنا، إنها تمنع أخذ أي شيء من الموتى.
علي: وهذا يحتاج إلى سفر إلى الخارج.
الطبيب: والقرنية ليس من السهل الحصول عليها، كما أن العملية مكلفة للغاية.
ساهر: إذن، يجب أن أرضى بقسمتي، وأرضى بالعمى.
الطبيب: لم أقصد...
ساهر: (مواصلا بشجن): أيها السادة، إنني الآن شخص أعمى، وهذه هي الحقيقة، وعلي أن أدرب نفسي على السير برفيق لي، ممسكا عصا، وأن أكون محل شفقة من الناس. أعلمكم أن الدنيا أمامي الآن سواد في سواد.

الفصل الثاني

شظايا الزجاج تتطاير

المشهد الأول

(نفس ديكور شقة ساهر، وساهر جالس وحيدا في الصالة، ممسكا نظارة سوداء، وبجانبه عكاز حديدي، وقد طال شعر رأسه ولحيته وشاربه بشكل لافت، وبدا منتفخ القسمات)

ساهر (بصوت عالٍ وهو يتحسس النظارة): كنت أتعجب عندما.. عندما.. كنت مبصرا، ها..ها؛ لمن يلبسون النظارة السوداء، وأقول في نفسي، لماذا يعلن الأعمى عن نفسه وسط الناس؟ لماذا لا يكتفي باتباع من يأخذ بيده دون إعلان؟ أيريد استدرار الشفقة من الآخرين؟ مادامت عيناه سليمتين أمام الناس، فليحافظ عليهما، ولا داعي للنظارة المعتمة. **(يصمت ويدور في المكان ثم يواصل)** الناس، كل الناس، يريدون المظهر.. الهيئة.. الأناقة، إذن فلينل الضرير ما يريدونه، ليخلع النظارة، ويسير بينهم متكئا على تابعه.

(كأنه يحاسب نفسه) لم أشأ أن أقول هذا الكلام لتغريد وهي تعطيني النظارة، وتقول بعدما وضعتها على وجهي: أنت رائع في هذه العدسات يا ساهر. **(يبتسم ساخرا)** لم أجبها بشيء، أترك لها التصرف في حياتي ؛ لا جدوى من إبداء المعارضة لها. مسكينة تغريد، عليها مواجهة الحياة بمفردها، تتابع تربية ابني، وشؤون المنزل. على قدر ما كانت تحب الحياة، وتعشق مظاهرها، على قدر ما هي أصيلة الآن في وقفتها في محنتي.

(يتهدج صوته) تكون أزمات الحياة ومحنها وقتية دائما، أما أزمتي فهي ملازمة لي.. بالأدق، ستظل معي إلى آخر العمر. **(كأنما يتذكر شيئا)**.. إلى آخر العمر في ظلام؟ في جلوس في

المنزل؟ ماذا يقول التشكيليون ونقاد الفـن الآن عـني؟ يقولـون بلاشك الفنان ساهر..، **(ساخرا)** فقط الفنان، أو الفنان الذي كـان مبدعا، هاه، جميل هذا، أو الفنان السابق، رائع هذا؛ أن أعيـش على لقب "فنان تشكيلي سابق"، هههه، هههه، مـا أعجـب هـذا اللقب! أيوجد في عالم الفن سابق ولاحق وحاليّ؟ ربمـا أكـون أنـا الحالة الوحيدة على حسب علمي. نعم هناك من ابتعـدوا عـن الفن، وهناك من ماتوا، وهناك من تاجروا، ولا يوجد هنـاك مـن أصيب بالعمى. جميل أن أكون الحالة الأولى من نوعي **(يتنهـد)** آه، يا ليتها خواطر كالصخور!

(يدخل ابنه "هيثم"، يبدو عائدا من المدرسـة، حـاملا حقيبتـه المدرسية، يندفع الطفل لأحضان والده)

هيثم: أبي، أبي، حبيبي.

ساهر (يحتضن نجله بحب): أهلا يا هيثم، أهلا روح قلبي.

هيثم: أنا أشتاق لك كثيرا يا أبي.

ساهر (يحتضنه ثانية): وأنا أكثر يا هيثم.

هيثم: بالمناسبة يا أبي، لقد غاظتني اليوم معلمة التربية الفنية.

ساهر (منتبها): لماذا حبيبي؟

هيثم: طلبت منا طلبا عجيبا.

ساهر: ماذا..؟

هيثم: أن نتخيل حديقة زرناها ونرسمها من الخيال.

ساهر: وماذا يغيظ في هذا؟

هيثم: لقد اعتدنا أن تأخذنا إلى حديقـة المدرسـة أو تحـضر لنـا صورة وتقول ارسموا مثلها، ونحن نقلدها.

ساهر: ولكن هناك رسما من الخيال، ولم تخطئ المعلمة.

هيثم: وهذا ما قالته لي، عندما اعترضت عليها، وقلت لها: يا أبله لقد اعتدنا أن نرى الصورة أولا، ردّت عليّ: علينا أن نرسم من خيالنا، ثم قالت اسأل أباك يا هيثم، إنه فنان تشكلي مشهور.

ساهر (يغمغم بضيق): كنت يا بني.. كنت، أنا فنان سابق.

هيثم (دون أن ينتبه لما قاله أبوه): لقد حاولنا أن نرسم من خيالنا، ورسمت أنا بالفعل لوحة.

ساهر: وماذا رسمت يا هيثم من خيالك؟

هيثم: جلست أفكر، وأتخيل وأتخيل..

ساهر (مبتسما): وماذا بعد ما فكرت وتخيلت؟

هيثم: فكرت أن أرسم أي حديقة، ولكنني فشلت، فقررت أن أعود بخيالي إلى حديقة جميلة، زرتها من قبل ولعبت فيها.

ساهر (مستمتعا): رائع يا هيثم.

هيثم: هل تتصور يا أبي، أنني لم أذهب لحديقة جميلة منذ أكثر من ثلاث سنين؟

ساهر (مستغربا): معقول! أنت تذهب إلى رحلات كثيرة.

هيثم: نعم، أذهب إلى رحلات، وكلها إلى مدينة ملاهي أو نوادي، لم أذهب إلى حديقة واسعة جميلة.

ساهر: وماذا فعلت يا بطل؟

هيثم (بفخر): لأنني ابن فنان كبير مثلك يا أبي، فقد رحت أتذكر...

ساهر (بشجن): تتذكر ماذا؟

هيثم: أتذكر أجمل حديقة زرتها ولعبت فيها، وقد تذكرت يا أبي حديقة جميلة واسعة...، حديقة في مدينة أكتوبر.

ساهر (مسترجعا): اه، حديقة جنة الأحلام.

هيثم: نعم يا أبي.
ساهر: أحسنت يا هيثم الاختيار، إنها حديقة رائعة، وتخطيطها بديع.
هيثم: ولهذا اخترتها، واسترجعت تقسيمها، وما فيها من زهور وأشجار.
ساهر: ورسمت الحديقة كلها، إنها كبيرة جدا.
هيثم: لا طبعا، ولكنني تذكرت ما قلته لي من قبل، عندما كنت تعلمني الرسم.
ساهر: ماذا؟
هيثم: تخيل شيئا كبيرا، وضعه أمام عينيك، وارسم أجمل شيء أحسسته فيه.
ساهر (مبتهجا): أيها الشقي، أنت تدهشني، وماذا رسمت في هذه الحديقة، إنني تذكرتها تماما الآن.
هيثم: لقد تخيلت نفسي جالسا على مقعد، وأشاهد مدخل الحديقة، فرسمت الأشجار ومساحات الحشائش.
ساهر (يحتضن ابنه): يا حبيبي، هذا منظر صعب، لأنك مضطر لرسم باب الحديقة وسورها أيضا.
هيثم: وهذا ما فعلته بالضبط يا أبي. لقد رسمت السور والباب والأشجار، وأنا أتذكر كيف كنت أجلس بجانبك على المقعد الحجري، وتقول لي: انظر إلى هذه الحديقة الجميلة.
ساهر: هل تذكرت كل هذا في الحصة وأنت ترسم؟
هيثم: طبعا يا أبي، أنا "ابن الوز".
ساهر (متعجبا من التعبير): "ابن الوز"! من قال لك هذا؟
هيثم: المعلمة، عندما شاهدتْ ما رسمت، وعرضته على الفصل،

وصفق لي كل الفصل.
ساهر (بحزن مكتوم): لقد أسعدتني يا حبيبي.
(تدخل تغريد، وهي تجفف يدها بمنشفة)
تغريد: أنت هنا حتى الآن، لماذا لم تبدل ملابسك؟
هيثم: كنت أحكي لأبي ما حدث اليوم.
تغريد: وماذا حكيت له؟
هيثم: ما حدث في حصة التربية الفنية، لقد..
ساهر (يقاطعه بقلق): هيثم، هل تعلم معلمتك أنني.. أنني..
هيثم (بسرعة): لا يا أبي.. قلت لها ولكل زملائي إنك مريض.
ساهر: لماذا يا هيثم؟
هيثم (ببساطة): لأنك مريض يا أبي، وتأخذ دواء كما أرى.
تغريد: هيا يا هيثم، بدل ملابسك، واستعد للغذاء، ثم احكِ لي كل شيء حدث في المدرسة اليوم.
هيثم: لن أخرج، قبل أن تريا اللوحة، التي صفق لي الفصل كله، ومعه المعلمة، وطلبت المعلمة أن تأخذها وتعلقها في المرسم عندها، ولكنني رجوتها أن تأخذها غدا، حتى تشاهداها.
ساهر (بحذر): ولكنني يا هيثم..
تغريد (تغيّر مجرى الحديث): هيا يا هيثم.
(يتجاهل الولد طلب أمه، ويفتح حقيبته مخرجا كراس الرسم، حيث يعرض ما رسم بألوان زاهية)
هيثم: ما رأيكما؟
تغريد (تتأمل الرسم): رائع يا حبيبي، هذه أجمل لوحة رأيتها لك.
ساهر: صفي لي ما بها.

تغريد: إنه مشهد لحديقة كبيرة، في منتصفها: باب الحديقة والسور، وأرى تقسيم الحديقة من بعيد، وفي القريب أغصان شجر مدلاة وزهور، والألوان منتقاة بدقة، كأنها حقيقية.

هيثم (بفخر): ولد الوز عوام.

تغريد (بدهشة): ماذا؟

ساهر: يردد ما سمعه من الأبله.

تغريد (تحضن صغيرها): نعم يا حبيبي، أنت فنان مثل أبيك.

هيثم (بطريقة تمثيلية): الآن سيذهب الفنان الصغير، ويستعد للغداء.

(يذهب هيثم، وتبقى تغريد)

ساهر (بمشاعر مضطربة): تغريد، هيثم يذكرني بطفولتي، إنه شعلة نشاط وذكاء، كأنني أرى نفسي من جديد.

تغريد: وكل من يراه، يقول إنه ساهر الصغير.

ساهر: كنت أتمنى أن أستمر في تعليمه الرسم.

تغريد: إنه موهوب مثلك يا ساهر. هل الموهبة تتوارث؟

ساهر: نعم، وهذا أجده لدى الكثير من الفنانين في العالم، ولكنني أريده أن يحقق ما لم أحققه.

تغريد (بحذر): وماذا لم تحققه أنت؟ لقد نلت شهرة ضخمة في العالم.

ساهر (بأسى): لقد أصبت بالعمى وأنا في منتصف الطريق، كان في أعماقي الكثير والكثير. إنني دائما أقول: إنني رحلت في منتصف لوحة.

تغريد: ماذا تقصد يا ساهر؟

ساهر (كأنه يحلم): إن عمري كاللوحة، أردت أن أرسمه كله،

فأنجزت النصف وتبقى النصف. فباتت لوحة ناقصة، مشوهة..
تغريد (بلهفة): هذا الكلام محزن، إنك أنجزت الكثير.
ساهر: الكثير! إن ما في أعماقي أكثر.
تغريد: لا زلنا نعيش من ريع لوحاتك، ومعارضك، لنا ثروة كبيرة والحمد لله، لن نخشى الفقر.
ساهر: لا أحمل همّ الرزق يا تغريد.
تغريد: أرى أن تشغل نفسك بالحاضر والمستقبل، ولا تفكر في الماضي.
ساهر: أي حاضر؟ وأي مستقبل؟
تغريد: أنا أشعر بك يا حبيبي، ولكن كن مؤمنا بالله، هذا قدرك.
ساهر: تقولين: قدري!
تغريد: نعم، هل كان بيدك شيء ولم تفعله؟
ساهر: لا.
تغريد: إذن، هو القدر، الذي يجب أن نؤمن به، ونسلّم بما فيه.
ساهر (وكأنما يسترد وعيه): نسلم بما فيه؟!
تغريد: بعد الإيمان به طبعا.
ساهر (مرددا): نسلم بما فيه؟! نسلم بما فيه؟!
تغريد (مشفقة): حبيبي، أرجو أن تفهمني بشكل صحيح.
ساهر (وهو ساهم): إن كلمة القدر كانت غائبة عن وعيي تماما، لابد أن أعيد حساباتي ثانية.

المشهد الثاني

(نفس الديكور السابق، ونرى ساهر جالسا على أحد الكراسي الوثيرة، وقد تغيرت هيئته، فبدا مهذب اللحية والشعر، يستمع إلى موسيقى كلاسيكية عذبة، وبجانبه جهاز "لاب توب"، وهو يتحسس مفاتيحه، تدخل تغريد)

تغريد (بمرح): ساهر، مساء سعيد يا حبيبي.

(لم ينتبه ساهر لها، وظل مشغولا بما يسمع)

تغريد: أيها الموسيقي العظيم، انتبه معي قليلا.

ساهر (منتبها): خيرا يا تغريد.

تغريد: لماذا لا ترد على جهازك المحمول؟

ساهر: مَن اتصل بي؟

تغريد: صديقك علي، اتصل على هاتف المنزل، وسأل عنك.

ساهر: حسنا، أعطني الهاتف كي أكلمه عليه، مشتاق إلى الحديث معه، له أكثر من شهر لم يزرني.

تغريد: لا داعي، إنه قادم الآن، وقد تحدث معي وهو قريب من بيتنا.

ساهر: قلت له ألف مرة: تعال في أي وقت، لا داعي للاتصال.

تغريد: إنه قادم ومعه الدكتور إيهاب.

ساهر (متعجبا): لا يزال الدكتور إيهاب حريصا على زيارتي! وكأنه مسؤول عني، إنه يحب أن يستمع لي.

تغريد: الدكتور إيهاب شخصية عظيمة، وهو يحبك.

(رنين جرس الباب)

تغريد: يبدو أنهما وصلا بالفعل، سأفتح لهما الباب.

(تذهب تغريد لتفتح الباب، يدخل علي ومعه إيهاب)
علي وإيهاب (في صوت واحد): السلام عليكم.
(يقف ساهر مرحبا، منفرج الأسارير، ولا تزال الموسيقى الكلاسيكية عالية الصوت نسبيا)
ساهر: وعليكما السلام.
علي: كيف حالك يا ساهر؟
إيهاب (مجيبا): أرى أنك متحسن كثيرا.
ساهر (ضاحكا، وقد بدا سعيدا بزيارتهما): كلماتك يا دكتور إيهاب نابعة من عملك كطبيب.
إيهاب: اعذرني يا ساهر، المهنة تغلب علينا.
علي: ولكنك متحسن بالفعل هذه المرة، كنا نراك في الزيارات السابقة بين تبرم وقلق.
ساهر (مبتسما): وما علامات التحسن في رأيكما؟
إيهاب: الابتسامة وحدها كافية.
علي: وهذه الموسيقى الهادئة.
ساهر: ظنكما صحيح أيها الصديقان، لقد تحسنتْ نفسيتي.
إيهاب: الحمد لله.
علي: وما السبب في هذا التحسن؟
ساهر: سلّمت أنه قدري، وعليّ أن أرضى به.
إيهاب (متعجبا): وقبل ذلك؟
ساهر: أبدا، كنت أقتل نفسي في التفكير فيما سبق، أقارن بين ما كنت فيه وما صرت إليه.
علي: وماذا تفكر فيه الآن؟ هل تركت التفكير في الماضي.
ساهر: إلى حد ما، وأستمتع بأذنيّ.

إيهاب: رائع. كيف تستمع بأذنيك؟
ساهر: الموسيقى كما ترى، لقد اكتشفت أن في الإنترنت ثروة هائلة من الموسيقى والبرامج الصوتية.
علي: عدت مرة ثانية إلى الكومبيوتر والإنترنت.
ساهر: المسألة بسيطة، لا تنسَ أنني كنت أقضي كل وقتي على الكومبيوتر.
علي (مستوضحا): هذا صحيح، وكيف تتعامل مع الجهاز؟
ساهر (مواصلا): أنني أحفظ لوحة المفاتيح، وأتخيل شكل الشاشة، وأيقوناتها، وبالتالي وجدت نفسي أتواصل مرة أخرى مع الجهاز .
إيهاب: رائع أيها الفنان.
ساهر (موضحا): وكما تعلمون، النت موصول في أرجاء الشقة بطريقة " wireless" وذات مرة ضغطت على برنامج التصفح على الإنترنت فجاءتني أصوات كثيرة، فبدأت أكتب ما أريد، وأحرك يدي على موضع الـ "Mouse " وتطور الأمر.
إيهاب (معلقا): لقد بدأتَ حياة جديدة يا ساهر.
علي: أنت أدهشتني.
ساهر: تخيلا، أنني لا أجد وقتا لأستمع إلى مختلف الإذاعات والمواقع الصوتية على الإنترنت، وعدت إلى الأفلام السينمائية ؛ أسمعها، ولم تعد لدي مشكلة في تخيل الشخصيات والأحداث، لقد اكتشفت أنني كنت أهمل أذني تماما في حياتي.
إيهاب: كيف كنت تهملهما؟
ساهر: كنت غارقا في البصر، بحكم عملي وهوايتي، ونسيت أن الأذن مصدر آخر للمعرفة، أنا أتكلم عن نفسي طبعا.

علي: ونحن مثلك، إننا بالفعل لا نستخدم آذاننا كما ينبغي.
(تدخل تغريد حاملة صينية الشاي وعليها بعض الحلويات)
تغريد: آسفة، تأخرت عليكم.
إيهاب: نبارك لكِ تغيّر ساهر الكبير.
تغريد (بسعادة): هل لاحظتما ما حدث لـه، إنـه الآن مـشغول عنا الآن.
علي: كيف ذلك؟
تغريد: رغم أنه يـستيقظ مبكـرا إلا أنـه يغـرق في الكومبيوتـر، يجلس عليه، ولا يفارقه أبدا، بل يكتب عليه أيضا.
إيهاب: ماذا تكتب يا ساهر؟
ساهر: قلت لكما إنني أحفظ لوحة المفـاتيح، وقـد أحـضرت لي تغريد برامج حاسوبية خاصة بمن هم في مثـل حـالتي...، وكلهـا تعتمد على الصوت. فعندما أكتب على برنامج " ward" يأتينـي كل ما أكتبه مسموعا.
إيهاب: وماذا تكتب يا ساهر؟
ساهر: شرعت أكتب بعض المقالات، وتعليقات أرسلها إلى مواقع النت، ورسائل صوتية أسجلها وغير ذلك.
تغريد (مواصلة): هل تعلمون أن أسلوبه في الكتابة جميل، كأنه يرسم بالكلمات.
ساهر: هذا صحيح، بدأت أستعيد قراءاتي، فوجدت مخزونا كبيرا في أعماقي من اللغة والأدب والفن.
علي: بصفتي صحافيا، هل يمكن أن أحصل على هذه المقالات؟
ساهر: سأرسلها لك، ولكنني أفضل أن أنقحها مرة ثانيـة، بعدمـا أستمع إليها، حتى أرضى عنها بشكل نهائي.

تغريد (ضاحكة): إنني خبيرة به، فهو دقيق كعادته في كل شيء، ولا يسمح لشيء بالظهور، قبل أن يرضى عنه.
ساهر (بصراحة): تقصد أنني لم أكن أعلن عن مجموعة تشكيلية جديدة قبل أن أرضى عن كل ما فيها.
(متوجها لزوجته) يا عزيزتي تغريد، لم تعد عندي مشكلة أن أقارن بين ما كنت فيه وما صرت إليه، بات الأمر عاديا.
إيهاب: إنني اليوم في غاية السعادة، لقد تصالحت مع كل شيء حولك.
ساهر: نعم يا دكتور، تصالحت مع نفسي التي خاصمتها وقسوت عليها كثيرا. **(ملتفتا إلى زوجته):** أنت السبب أيتها الزوجة الحبيبة.
تغريد (مستغربة): أنا السبب!
ساهر (معلنا): نعم يا تغريد، عندما أعدتني إلى حقيقة في نفوسنا وحياتنا.. وهي القدر، وكنتِ معي خطوة بخطوة وأنا أعبر لحياتي الجديدة.
تغريد (بمكاشفة): كان هذا غائبا عني أيضا، وانتبهت إليه مؤخرا.
ساهر (مسترجعا): في شبابي، كنت أسخر من جدتي وأمي عندما كانتا تعيدان كل مصيبة إلى "المكتوب"، وبعدها كانتا ترضيان وتستمر الحياة. ويبدو أن الحياة أرادت أن تعطيني الدرس عمليا.
علي: صرت فيلسوفا أيها الفنان.
تغريد (مغيرة الحديث): ساهر..، لديك الليلة صديقاك العزيزان.
ساهر (متوجها لصديقيه بمرح): ماذا تقترحان للسهرة؟

علي: لا شيء، لنواصل حوارنا.
إيهاب (مؤيدا): نعم، إننا أمام تجربة رائعة في الحياة.
علي: أنا آسف لأنني انشغلت عنك هذه الفترة، واكتفيت بالاتصال فقط.
إيهاب: ما رأيك أن تحدثنا الليلة عن مقالاتك الجديدة.
علي: صحيح، نسيت أن أسألك عنها.
ساهر: إنها ببساطة قراءة في تطور الفن التشكيلي في العالم العربي، بين موروثاتنا وما أخذناه من الغرب.، إنها قراءة في الهوية الفنية التشكيلية.
إيهاب: هذه فكرة كتاب كامل، وليست مقالات.، قل دراسات.
علي: بل فكرة موسوعة.
تغريد: ألا تلاحظون أنه يكتب في الفن التشكيلي؟
ساهر: وماذا في ذلك؟
إيهاب: زوجتك تقصد أنك تواصل نفس المسيرة.
ساهر: هذا صحيح، فلا يمكن أن أنسى عمرا قضيته في صحبة اللوحة والفرشاة. والجميل أن كل أعمال الفنانين حاضرة في ذهني.. الرسوم واضحة والألوان.. وأيضا المنحوتات.
علي (صارخا): لابد أن أحصل على هذه الدراسات.
ساهر: قبل أن تأخذها، اسمعها.
إيهاب: هيا اقرأها لنا.
ساهر: يا عزيزي.، الكومبيوتر وفّر لنا مؤونة القراءة الجهرية، استمع.
(يضغط على لوحة المفاتيح، فينطلق صوت عربي فصيح يقول):
"كي نفهم تشكيلنا المعاصر، يجدر بنا أن نسبح في موروثنا الفني

القديم. إننا أبناء بيئة رضعت التشكيل ؛ في طبيعة رائعة: شمس ساطعة، وأرض منبسطة، متعـددة الألـوان بـين صـفرة وخـضرة وحمرة..، أقول هذا وأنا أتأمل عالمنا العربي الفسيح، وأتخيل ذاتي ترتحل بين بلدانه، وتغوص في ثنايا وعيه الجمالي، الذي رضع من حضارات عريقة عاشت وأزهـرت عـلى هـذه الأرض، فلنبـدأ في البحث عن هويتنـا التـشكيلية القديمـة، ونـذكر أبـرز ملامحهـا، لتكون أساسا في فهم إبـداعات معاصرينـا، وكيـف تعـاطوا مـع التيارات الفنية الغربية التي غرقنا فيها.."

(يتوقف الصوت بضغطة من ساهر)

تغريد: ما رأيكما؟

إيهاب: أسلوبك بديع.. ليتك لا تتوقف.

علي (بتأمل): أرى إعادة قراءة تجربتك أنت يا ساهر، لقد كنـت أكثر الفنانين مواكبة للتيارات العالمية.

ساهر (يضحك): أنا..؟

علي: نعم، وفكر فيما قلته لك يا عزيزي.

ساهر: سأفكر بلاشك، فأنا دائم التفكير.. هيا نواصل الاستماع.

(يضغط على لوحة المفاتيح، فيرتفع الصوت ثانية)

المشهد الثاني

(نفس الديكور السابق، ونرى ساهر منهمكا على "اللاب توب "، وقد وضع سماعات في أذنيه، وبدا مستغرقا، يدخل ابنه هيثم، ينظر لأبيه، ثم يقترب منه صارخا)

هيثم: أبي، أبي.

ساهر (منتبها): أهلا يا هيثم.

هيثم: أريد مساعدة عاجلة.

ساهر: ماذا..؟

هيثم: أريد أن أتعلم رسم الجبال.

ساهر: بسيطة، ابحث عن صور للجبال وارسم مثلها.

هيثم: صعبة علي يا أبي. وكل ما رأيته في الصور صعب، رأيت جبالا ذات صخور وعرة، وألوانا كثيرة، فلم أستطع رسمها.

ساهر: نعم.. نعم، إن رسمها صعب بالفعل، خاصة لو كانت عليها نباتات.

هيثم: لقد تحداني صديقي "وليد" في المدرسة في رسم جبل.

ساهر: آه، وليد هذا الذي ينافسك في لوحاتك؟

هيثم: نعم، إنه هو. أريد تعلّم رسم الجبل، اشرحه لي يا أبي.

ساهر (بحرج): أنت تعلم حالتي يا هيثم.

هيثم: أبي، اشرحه لي وأنا أرسم حسب شرحك. بم أبدأ؟

ساهر (ينزل السماعة من أذنيه): أمري إلى الله، هيا، أمسك قلمك الرصاص، وابدأ من أعلى منتصف الصفحة، ولتكن الصفحة طولية.

هيثم: لماذا من أعلى الصفحة؟

ساهر (بتؤدة): حتى لا تغرق في تفاصيل سفح الجبل، وتنسى قمته، وأخاف أن ترسم السفح وتبالغ فيه، ولا تجد مكانا للقمة.
هيثم: معقول، وماذا بعد؟
ساهر: هيا، تخيل قمة الجبل وارسمها.
هيثم: كيف؟
ساهر: آه، إنها صعبة عليك، قرّب الورقة مني، وأعطني القلم.
(يعطي هيثم القلم لوالده، فيتحسس الورقة، وأبعادها، ويشرع في الرسم)
هيثم: جميل يا أبي.
ساهر: ماهو الجميل؟
هيثم: لقد رسمت قمة الجبل كما أراها في الصور.
ساهر: معقول يا بني!
هيثم: نعم، أكمل يا أبي، إنني أتعلم من أصابعك وهي تسير تدريجيا.
ساهر (يتحسس الصفحة ويواصل الرسم): وهذا هو السفح، انظر.
هيثم: جميل يا أبي، أكمل.
ساهر: يكفي هذا، أكمل أنت.
هيثم: أين النباتات والألوان؟
ساهر (مضطرا): إذن أعطني ألوان الجواش.
هيثم: سأحضرها حالا.
(يخرج هيثم، وساهر في حالة من الدهشة)
ساهر: يا إلهي، لقد أعادني الولد الشقي إلى الورقة والقلم.. يا لها من لذة.

(يدخل هيثم، حاملا علبة جواش، يناولها لوالده)

هيثم: تفضل الألوان يا أبي.

ساهر: أعطني يا حبيبي اللون البني الغامق. وضع إصبعي على قمة الجبل.

(يناوله هيثم ويرشد إصبع أبيه إلى قمة الجبل، فيتحسس ساهر آثار القلم الرصاص، فيشرع ساهر في تلوين الجبل، وهو يقول)

ساهر (يناجي نفسه): ما هذا؟ إنني أتذكر موقع قمة الجبل كما رسمتُه من لحظات. هل يدي مضبوطة في الرسم يا هيثم؟

هيثم (صارخا): أنا غير مصدق يا أبي، أنت ترسم بشكل رائع. واللون مضبوط. كيف ذلك يا أبي؟

ساهر (مواصلا مناجاة ذاته): إنني أضبط يدي على حواف الورقة، وأسترجع مواضع يدي على الورق، وأتحسس آثار القلم على نعومة الورق، فأتعرف على ما خططت بسهولة.

ساهر: أتخيل أنه يجب رسم الأشجار والنباتات، أعطني اللون الأخضر.

(يناوله هيثم اللون الأخضر، فيواصل ساهر الرسم، وهو يتحسس بروزات ألوان الجواش، ونتوءاتها على الورق)

هيثم: هكذا أفهم يا أبي، كما كنت تعلمني من قبل. أنا الآن أتعلم من أصابعك.

ساهر: يا بني، إنني..

هيثم (يقبل وجه والده بتأثر): أنت فنان كبير. عرفت لماذا طلبت مني ألوان الجواش، لأنها بارزة على الورق.

ساهر: هيا، نكمل، أعطني اللون الأصفر.

(يناوله الولد، يتحسس ساهر الورق، ويواصل الرسم، متلمسا ما فعل بأنامله، يواصل التلوين، والولد يناوله الألوان..، تكتمل اللوحة، يمسكها الابن صارخا)

هيثم: اكتملت اللوحة، رائعة، جميلة..

ساهر: حقا يا بني؟

هيثم (قافزا): سأريها لماما.

يخرج، وهو ينادي: ماما.. ماما.

ساهر (حالما، وهو يتلمس أصابعه): يا لها من مفاجأة ؛ أنا أرسم! أشعر أن أصابعي تختزن الخبرة في مسامها.

(تدخل تغريد، ممسكة اللوحة، والذهول على محياها)

تغريد: ما هذا يا حبيبي؟

ساهر: انظري ما فعل ابنك الجنّي.

تغريد: أنا غير مصدقة.

ساهر: وأنا مثلك.

تغريد: نفس أسلوبك في التشكيل، الخطوط الثابتة، والألوان الناطقة بالمعنى.

ساهر (ساهما): دعيني الآن يا تغريد، أريد أن أخلو بنفسي.

تغريد (بقلق): ماذا بك؟

ساهر: أرجوكِ، اتركيني مع نفسي بعض الوقت.

تغريد: هيا يا هيثم.

(تغادر تغريد وهيثم، ويبقى ساهر وحيدا، تظلم الإضاءة تدريجيا، وترتفع موسيقى كونشرتو، فيما يتحسس ساهر أصابعه، ثم يمسك قلما من الطاولة، ويقرب دفتر الرسم منه، ويشرع في رسم كروكي..، يرسم بتأن، ويتحسس حواف الورق،

وآثار القلم عليه، ويمكن نقل هذا على شاشة عرض سينمائية ليراها المتفرج بشكل أوضح، وتكون المحصلة رسما لبيوت ريفية بسيطة، من الطوب اللبن، وحولها تلال مغطاة بأشجار ونباتات)

ساهر (متمتما وهو يناجي نفسه): هذه قريتي..، كم رسمتها مرات ومرات في سنواتي الأولى، بالقلم الفحم، على أوراق الكرتون. (يتعجب)، لماذا لم أنتج معرضا عن أجواء القرية؟ كانت كل مجموعاتي عن العلاقة القلقة بين الإنسان المعاصر والحياة الصاخبة.. ربما لأنني كنت أعيش زخم الحياة الحديثة، بما فيها من غابات إسمنتية تسمى عمارات، وشوارع واسعة،ممتدة في شبكات لا نهاية لها، تغرق الإنسان، فينسى كينونته، ويمضي فيها تيها، مثلما كنت أتيه في الفضاء الإلكتروني، كم كنت سعيدا وأنا أتواصل على الشبكة العنكبوتية مع الملايين، وسعيدا وهم يقولون لي: إن فنّك يعبر عن ذاتنا، إنه فن إنساني مشترك.

كل هذا منك يا هيثم، أيها الصغير الشقي، أعدت ذاتي لتكوينها.. أستشعر أنني في حاجة إلى الحفر في ذاتي مرة ثانية..، ذاتي التي اختفت خلف زجاج الشاشات، ذاتي التي تحمل عبق حضارات وثقافات مرت على قريتي في الصعيد الأوسط، هناك بالقرب من مدينة منف القديمة.

آه، عندما كنت أرسم الجبل، والنباتات التي عليه، كنت أسترجع التلال التي تحفّ بقريتي، عندما كنت ألعب عليها، وأختزن منها آلاف الصور، التي رسمتها مرارا في بداياتي الفنية، ونأيت عنها عندما غرقت في العولمة.

(يصمت، ويتحرك في المكان، متحسسا أصابعه، ثم يرفع صوته)
ساهر (ينادي ابنه): هيثم.. هيثم.
(يأتي هيثم مسرعا)
هيثم: خيرا يا أبي.
ساهر: أحضر لي المسند الخشبي، ولوحة قماشية نظيفة، و"باليت " الألوان.
هيثم (شاهقا): ماذا قلت..؟
ساهر: ما سمعته.
هيثم: ماذا ستفعل بهما يا أبي؟
ساهر: حبيبي، أحضرهما وسأقول لك. أريدك بجواري أيها الفنان الصغير.
هيثم: سأسأل أمي عن أماكنها فقد ركنتها أمي في مكان ما بالبيت. (**ينادي**) أمي، أمي، أين حامل اللوحات والباليت؟
(تأتي تغريد والدهشة تملأ وجهها)
هيثم: يريد أبي..
تغريد: سمعت ما طلبه أبوك. (**لساهر**) لماذا تطلب هذه الأشياء يا ساهر؟
ساهر (يمد لها اللوحة التي رسمها عن قريته): انظري إلى هذه اللوحة.
تغريد (متأملة): هذه صورة قرية ريفية.
ساهر: إنها قريتي.
هيثم: هذا رسمك يا أبي؟
ساهر: هذه صورة بيتنا، وكان بالقرب منه تلال خضراء.

تغريد: أول مرة أرى هذا.
ساهر: صحيح، لأن أهلي هاجروا من هذه القرية، واستقروا في المدينة منذ زمن، ولكن لا أنسى الجمال الرباني الذي تفتحت عيناي عليه منذ صغري.
تغريد: وماذا تريد أن تفعل؟
ساهر: سأرسم ما في أعماقي، عن ذاتي، وروافد تكويني.
تغريد: ترسم؟!
ساهر: نعم، كما رسمت ما ترونه، سأرسم على اللوحة، وسأعتمد عليكِ أنت وهيثم. إن أناملي تختزن خبرة كبيرة وهذا ما كنت أجهله.
تغريد: تجهل ماذا؟
هيثم: تختزن ماذا يا أبي؟
ساهر: حبيبيّ الجميلين، بم يرسم الفنان؟
هيثم: بأصابعه.
تغريد: ولكنه يحتاج إلى..
ساهر: إلى بصره، أنتما بصري، وأنا عندي أصابعي. هيا لنرسم معا. أنا أتحسس اللوحة، وأنتما تمداني بالألوان التي أريدها.
تغريد (مشفقة): لماذا تتعب نفسك؟ أرى أن رسم الريف والطبيعة ليس جديدا، وقد ألفه الجمهور، هناك آلاف اللوحات عن ذلك.
ساهر (بابتسامة غامضة): هذه المرة سأرسم لي أنا فقط، وليس للناس. سأرسم ذاتي. عندي ما أريد قوله، ولاشك أنني سأقول جديدا، هيا جهزا عدة الرسم.

(تخفت الإضاءة، تحضر تغريد المسند الخشبي وتشد عليه لوحة قماشية، ويعد هيثم الألوان، ويمزج بعضها على الباليت، يتحسس ساهر اللوحة جيدا، ويبدأ في التخطيط، يناوله ابنه بعض الألوان بناء على طلبه، ويشرع في الرسم..)

(إظلام)

المشهد الثالث

(معرض فن تشكيلي، نشاهد لوحات كثيرة معلقة على الجدران، الطابع الغالب على موضوعاتها الريف المصري القديم، ونشاهد اللوحات تضج بحركة البشر، وتناغمهم مع الطبيعة الخضراء، كما نرى مزجا بين الحياة الفرعونية القديمة، ومظاهر من الحضارة القبطية، قبسات من الحضارة الإسلامية، على شكل أيقونات وعلامات في فضاء اللوحات. ونرى تكرارا للملامح الوجوه في حقب تاريخية مختلفة، كأنها تريد إثبات أن الإنسان الذي استقر على ضفاف النيل شخص واحد، وهو الذي ساهم في الحضارات المتتابعة، وحملها في جيناته حتى اللحظة الراهنة، ونجد أن الطبيعة تغلف المشهد كله)

(يقف ساهر، دون نظارات سوداء، يرتدي حلة أنيقة، وبجانبه زوجته، وابنه هيثم، وأيضا الدكتور إيهاب، والأستاذ علي، وهناك كثير من الزوار يتمعنون في اللوحات، وتبدو الدهشة عليهم، وتتناثر همساتهم معجبين)

علي (بإعجاب): أنا غير مصدق لما فعلت يا ساهر! إننا أمام معجزة بكافة المقاييس.

إيهاب: وأنا منبهر أكثر منك، وسعيد أن أكون صديقا لشخص صاحب إرادة عظيمة مثلك يا ساهر.

ساهر: الكل يردد معجزة، وأنا لا أرى أية معجزة فيها.

تغريد: الفنانون في العالم يتحدثون عنك يا ساهر، وقد طيرت وكالات الأنباء صورا من لوحاتك الجديدة.

ساهر: لقد تابعت ذلك في الإذاعات ومواقع النت الصوتية، ويا

للأسف، يقولون أعمال فنان فاقد للبصر..
علي: لا تحزن يا ساهر، هذه كلمة غير مقصودة، والصحافيون يهوون الإثارة.
ساهر: لست غاضبا من تعبير فاقد البصر، ولكنني متضايق من المتاجرة بعاهة إنسان وفنان، من أجل ترويج إعلامي فريد.
إيهاب: المهم، لماذا أخفيت عنا كل هذا الإنجاز؟
تغريد: كنت أسأله فيقول لي، أريد أن أعمل في هدوء.
علي: نحن أصدقاؤك المقربون. وكنت دائما الحديث عن مشاريعك ولوحاتك.
ساهر: أردت أن أغير من طريقتي السابقة، وبالأدق، أردت أن أبدأ حياة جديدة.
إيهاب: ماذا تقصد؟
ساهر: هل تعلم يا دكتور أنني تأثرت كثيرا بمهنتك؟
إيهاب: كيف؟
ساهر: إن طريقة عملكم أيها الأطباء تعتمد على العلاج الهادئ، المتكتم، والحفاظ على أسرار المريض، حتى تصل للشفاء.
إيهاب: هذا صحيح.
ساهر: وأنا تعلمت ذلك، فأردت ألا أستنزف طاقتي في الكلام والاستعراض، وحتى لا يفهم البعض أنني أستغل عاهتي في الحصول على إشفاق مصطنع، ونيل بريق إعلامي، لترويج لوحاتي بمجرد أن تعرض للناس.
علي: وما الضرر في ذلك؟ وقد كنت تبرع فيه من قبل!
ساهر: كنتُ أستمع آراء الناس فيما أريد فعله، ثم أخطط لوحاتي وفق هواهم وردود أفعالهم، بعدما أطرح أفكاري ورؤاي

عليهم. كنت أعتبر هذا نوعا من الذكاء الاجتماعي.. أو التجاري.
تغريد: معقول! لم أنتبه لهذا.
ساهر: هذه حقيقة اكتشفتها عندما غيّرت من طريقتي، تعاملت بشفافية مع عالمي الفني، وقرأت نفسي، فوجدتها موّارة بالكثير، تعاني من تغييبها.
(يصمت ثم يكمل) الجميل في هذا المعرض أنه صادر عن فنان يمتلك ذاتا أرادت أن تكون صريحة شفافة.
علي: ولذا وجدنا في هذا المعرض أفكارا جديدة للغاية.
إيهاب: ومن قبل ذلك، وجدنا فنانا يتحدى الظلام، ويرسم دون بصر.
ساهر: بل تحديت ذاتي التي كانت غارقة في زجاج الشاشات، ووميض الكاميرات، وشهقات المعجبات.
علي: رائع يا ساهر. أنت فيلسوف قبل أن تكون فنانا.
ساهر (مواصلا): صحيح أنني رسمت دون بصر، ولكنني امتلكت بصيرة، كانت ترشدني إلى ما أريد.
تغريد: وأنا أشهد له ؛ كان يرسم بدقة شديدة، ويتحسس كل خط، لدرجة أنه كان يميز الألوان من كثافتها ولزوجتها، عندما نمزجها مع بعضها. بالفعل شاهدت إرادة، وصبرا، لم أر مثلهما أبدا.
ساهر (بحب): كنت أقضي وقتا طويلا أتحسس اللوحة، ووجدت أن بصيرتي هي التي تقود أصابعي.
هيثم: أبي، أبي، كنت أشاهد أصابعك تتحرك بشكل مدرب على اللوحة، وكأنها تحفظ أماكن الخطوط.
ساهر: أيها الفنان الصغير الشقي، أريد أن تعلم أنك كنت سببا

في هذا الإبداع الجديد، لأنك نبهتني إلى أن أصابعي تختزن خبرة عمري الذي قضيته في صحبة الفرشاة.
هيثم (بفخر): اشهدوا جميعا، هذه شهادة بحقي من الفنان ساهر الذي أبهر العالم.
ساهر (ضاحكا): واشهدوا أيضا، أنه كان يساعدني كثيرا في تجهيز الألوان، وإرشادي في الرسم.
علي وإيهاب (في صوت واحد): ونحن شاهدون.
(يتقدم مصور تلفازي حاملا كاميرا فيديو، ومعه مذيع)
المذيع: نحن قناة "فن " الفضائية، هل يمكن أن نجري حوارا معك يا أستاذ ساهر؟
ساهر: آسف، أنا لا أحب الظهور في الفضائيات، فاعذرني.
المذيع (مندهشا): لماذا؟
ساهر (بتواضع): أكتفي بلوحاتي، فهي ناطقة لما أريد قوله.
تغريد: ساهر، هذه قناة مشهورة، وهذا مذيع معروف.
ساهر: وأنا عازف عن كل هذا، لا أريد كاميرات ولا شاشات، أريد أن أكون مع الحياة والذات.. دون زجاج .
المذيع (بلباقة): يبدو أنك متضايق من بعض الإعلاميين.
ساهر: أبدا يا أخي، هذا قرار شخصي.
المذيع: هل يمكن أن أعلن للناس أنك عازف عن الإعلام؟
ساهر: نعم، وأرجو أن تقرؤوا لوحاتي جيدا، فهي رسالتي التي لا تحتاج إلى شرح ولا تعليق.
المذيع: لقد أسميت معرضك في برنامجي "أنامل تسبح في الظلام " أو "فرشاة في الظلام ".
ساهر: أشكرك يا عزيزي على اهتمامك، وأنت حر في تغطياتك

الإعلامية، ولكن اسمح لي أن أقترح عليك عنوانا آخر يرضيني.
المذيع (بحماسة): أكون في غاية السعادة، وسأعلن للناس أنك اخترت هذا العنوان لمعرضك.
ساهر: إذن، سمه "أنامل في الشمس ".
المذيع: لماذا؟
ساهر: لأنني كنت في ظلام، والآن أعيش في شمس، شمس البصيرة، لا ضوء البصر.

(إظلام وستار)

مسرحية:

أم نعمة

المشهد الأول

(مشهد الأحجار الضخمة، التي هوت على منازل حي الدويقة بالقاهرة، حيث نشاهد جانبا من جبل المقطم، والأحجار العملاقة التي دفنت الجثث والبيوت، وفي الجانب عشرات الرؤوس البشرية التي تنظر بحسرة إلى بيوت كانت تعج بالساكنين، وعلى جانب من المسرح، نرى "أم نعمة " سيدة في أواخر العقد السادس، تبرز خصلات من الشعر الأبيض من طرحتها، وقد تعفر بالتراب ثوبها الأسود، وهو ثوب تقليدي مما تلبسه النساء في الريف المصري بشكل عام، تجلس "أم نعمة " على صخرة، تنتحب، وتلطم، وبالقرب منها في الصورة، بقايا منزل: أعمدة، أخشاب، أثاث محطم، دماء، ملابس ممزقة، وتصلنا همهمات الناس وهم يستمعون إلى أم نعمة)

أم نعمة: آه، آه، آه، يا خرابي، أولادي، أولادي! آه، يا خراب بيتي! آه، يا ناس، أنجدوني، عيالي، بناتي: نعمة ومحمود وحنان وإبراهيم وتوفيق، وعيالهم. جاءوني، يخبروني... بالمصيبة، جاءني الناس في المستشفى:

"الحقي يا أم نعمة، أين أنتِ يا أم نعمة؟، اذهبي، صخور الجبل وقعت على بيوت في الدويقة..."، جريت في الشوارع، مثل المجنونة، عيالي، عيالي، وقف تاكسي لي، وقال لي السائق: اركبي يا أمي، على مهلك يا أمي، قلت له اذهب بي للدويقة، عيالي...، البيت، آه، آه.. جرى السائق بي، كنت أولول وأنا في السيارة، كان الأمل في قلبي أن بيتي سليم وإن شاء الله يسترها ربنا، وأهدئ

نفسي وأستغفر ربنا وأدعـوه. وصـلتُ عنـد أول الدويقـة، كـان الغبار يملأ السماء، السائق قال لي: انـزلي يـا أمـي، لـن أقـدر أن أدخل، نزلت، ودخلتُ، لقيت الزحام، شديدا، صرخت في النـاس: افسحوا لي، وصلت لمكان بيتي، صخرة كبيرة أمام عيوني، والبيـت تحتها، تحتها قلبي وعمري.

أنا السبب، أنا السبب!

تمسكتُ بهم، حلفت عليهم أن يبيتـوا البارحـة عنـدي، حلفـت عليهم أن يفطروا في شهر رمضان الكريم، وجاؤوا، حبايب قلـبي، كلهم، حضروا، بعيالهم، أحفادي، وزوجاتهم، تجمعـوا عنـدي...، كان يوم الجمعة، ملأوا البيت بكلامهم، وحكايـاتهم، وضـحكهم، وصراخ عيالهم، ملأوا عليّ البيت...

(أصوات ممن حولها)

اصبري يا أم نعمة.

هذا قدر ربنا.

اشكري ربنا على قضائه وقدره.

اصبري يا أختي، وثوابك في الآخرة.

(أم نعمة باستسلام)

أستغفر الله العظيـم! أنـا راضـية بحكمتـك يـا رب! الحمـد لله، الحمد لله.

اتركوني يا ناس أقول ما في قلبي، قلبي نار، صدري سـينفجر، أنـا السبب! أنا تمسكت بهم حتى يتـسحروا عنـدي، قـالوا: يـا أمنـا، عندنا أشغالنا، اتركينا نعود لبيوتنا، قلت: أبدا يا حبايبي، تظلـون معي، فطوركم وسحوركم عندي اليوم، أنا روحي في أحفادي.

آه، آه، آه...، النار...، النار مولعة في قلبي.
عند ساعة الفطور، تسابقوا على التمر، وعصير المشمش، تجمعنا كلنا على الأرض في حلقة واحدة، نفس حلقتهم وهم صغار حول حلّة الطبيخ، أو طبق الفول في العشاء أو الفطور.

(تبتسم وسط نواحها مسترجعة) البارحة، كانوا يخطفون قطع اللحم، وأصابعهم غرقانة في الطبيخ، وأنا أضحك مع أصغر حفيد لي، وهو يشدّ طرحتي، ويلعب في شعري الأبيض...، أناولهم أكواب العرقسوس البارد، يقولون "ربنا يخليكِ يا أمي "، متم وتركتم أمكم يا عيوني، متم وأخذتم أحفادي معكم، ما عاد لي خلف في الدنيا، مات اسم أبيكم، الله يرحمه، وبقيت لوحدي في الدنيا.
فطروا، وشغلوا التلفزيون، وقلبوا المحطات الفضائية، بناتي مع زوجات أولادي، وأزواج بناتي مع أولادي،الرجال مع بعض، والنسوان معي، ضحكوا، وحكوا عن أشغالهم، عن شقهم الضيقة، وعن بيتي الواسع، الحريم تقول لي: والله يا أمي، العيال تلعب وتمرح لما تأتي إلى بيتك، ربنا يطيل عمرك، وتجمعينا دائما.
الرجال يضحكون على الفوازير، وهم يأكلون الكنافة وحبات القطايف، وأنا مع الحريم نغسل صحون الفطور، ونجهز الفول للسحور.
حنان ابنتي ضحكت وهي تقول: معقول يا أمي، الفول صار عزيزا على الناس، كيلو الفول بتسعة جنيهات. ضحكتُ وقلت لها: الفول أكل الفقير، الله يرحم أيام زمان، كان الفول فطورنا الصبح وعشانا بالليل، وكنت – مع كثرة العيال – أطبخ الفول في

الغـذاء، مـرة فـول نابـت، ومـرة فـول بـالطماطم، ومـرة فـول إسكندراني، ومرة طعمية..، وكنتم تـأكلون، وترضـون بمـا أعطانـا ربنا، الآن، والكيلو بتسعة جنيهات، الفقير يقتصد في الفول.

(تضحك، وسط دموعها وتواصل)

قالت لهم " نعمة "، ابنتي الـكبيرة حبيبـتي، كانـت أم إخوتهـا، قالتْ: تحبون تأكلون الفول بالطحينة أم بالبيض؟ **(تضحك بولـهٍ أشبه بالجنون)** العيال اختاروا الفـول بـالبيض، والرجـال الفـول بالطحينة، والحريم قالوا الفول بالـسمن البلـدي. قلـت لنعمـة: اعملي كل طلباتهم، أنتم عيوني.

آه، آه، الطف بي يا رب، يا رحمن يا رحيم! **(تعيد لـف طرحتهـا حول رأسها وتسترجع)** آه، آه، آه.

تسحّروا وناموا، نام كل واحـد في غرفـة مـع زوجتـه، أنـا عينـي غفلت وانتبهت على آذان الفجر، كنت نائمـة في الـصالة، تركـت سريري لابنتي حنان وزوجها، صحوت، وجدت العيـال ممددين جانبي، وأصغر أحفادي على صدري، حضنته بشوق، يـا روحـي، كان متعلقا بي، هو ابن ابني الكبير محمود.

صحوت على أذان الفجر، قمـت، غطيـت الأولاد وهـم نـائمون، وناديت على أولادي، كانت الغـرف مقفلـة، اسـتحيت أن أكـرر النداء، كل واحد مع امرأته، قلت أصلي الفجر، كان صوت الشيخ في الجامع القريب نديا، رقيقا على قلبي، راح يقـرأ القـرآن، بـين الأذان والإقامة، صليت سنّة الفجر، وجلست أسمعه، وأدعو ربنا، حتى سمعت الإقامة، قمت صليت الفرض، ونمـت عـلى جانبـي حتى طلوع الشمس، عيني غفلت وحلمت بأبي محمـود، وبـأبي وأمي - الله يرحمهم كلهـم - صـحوت، بـسرعة دخلـت المطبـخ،

أخذت الأكل الباقي من الفطور والسحور، وطلعت فوق السطح، وضعته للفراخ.
نزلت، لبست، ورحت الشغل، قلت في نفسي: هم يصحون براحتهم، ممكن يغيبون عن أشغالهم، نحن في رمضان، والشغل في المصالح الحكومية خفيف.

(تنظر لبيتها المتهدم، وتتطلع في المتجمعين حولها ثم تقول بشجن)
تحت هذه الحجارة، بيتي، الذي بنيته من شقائي، كدي، سنين عمري، ليالي البرد الطويلة، عندما كنت أوفّر ثمن الحطب، ثمن الفحم، ثمن الجاز، وأتحمل البرد، وأشد على جسدي بطانية قديمة، وأحتضن عيالي، ونظل طول الليل ملتصقين، ندفئ بعضنا، آه، آه.. أتذكركم يا عيالي، أنفاسكم، واحدًا واحدًا، الكبير يحضن الصغير، الولد جنب أخيه، والبنت في عنق أختها. أنفاسكم الدافئة في رقبتي، وأنتم تدفنون أصابعكم في صدري، كنا ننام، ونشبع نوما، وننسى البرد، وتغمضون جفونكم على همساتي، حكاياتي، أنسى فيها شقاء اليوم.
(تمسك رأسها بكفها) آه، آه، آه!!!
صرتُ وحيدة، يا ناس، أم نعمة التي عاشرتكم سنين... وسنين، عرفتموها تشقى لإطعام خمسة أولاد أيتام، جاءتكم من الصعيد " الجواني "، هي وزوجها "جاد الكريم "، أبو محمود، الله يرحمه، كان عامل " قروانة " يحمل الخرسانة لبناء العمارات، مسكين على باب الله.
تعال يا أبا محمود، صرت وحدي في الدنيا، عيالك، الأمانة التي

تركتها لي، عيالك تحت الحجارة، حجـارة الجبـل، غـضبت علينـا، وتدحرجت من فوق الجبل، نزلت على بيتنا.
تذكر البيت هذا يا أبا محمود؟ كان قطعـة أرض، اشـتريتها مـن الحاج حسين، كان واضع يده عليها، وبنيت أنت البيت بنفـسك، كان العمال الصعايدة، أصحابك يـساعدونك، وأنـا كنـت معـك، أحمل الرمل، وأرصّ الطوب، وأخلط الإسمنت. آه، آه..
نزلت صخور الجبل، على بيتنا، على عيالنا، على سنين عمرنا، هـم ماتوا كلهم، وتركوني أنا، بيتنا صار مقبرة، يا ليتنا ما بنيناه!
ماتوا اليوم، وأنت متَ يا أبا محمـود مـن سـنين، وهـم صـغار، تركت الخمسة، تركتهم أمانة متعلقين في رقبـتي، ومـتَ، كانـت أكبرهم، " نعمة " في العاشرة، وأخوهـا " محمـود " أصـغر منهـا بسنة، وأصغرهم توفيق كان على كتفي.
(نستمع بكاء متقطع من نسوة متجمعات حولها، ونـشيج مـن فتيات صـغيرات، وبعـض الأصـوات تواسـيها، ورجـال يـضربون كفوفهم، وهي لاهية عنهم).
آه يا أبا محمود! أنت مرتاح وهم مرتاحون، وأنا أتقطـع، أمـوت كل ثانية، لمـاذا لم يأخـذوني معهـم؟ أيـن أذهـب؟ البيـت راح، والعيال راحوا، وأنا في غربتي عن أهلي في الصعيد، نسوني، ونسوا ملامحي... وأنـا مـا نـسيتهم، يعيـشون في قلـبي، وملامحهـم في عيوني.
(تحكي مسترجعة هيئة زوجها)
مات زوجي "جاد الكريم"، وترك العيال لي، كـان الحمـل ثقيـلا، انشغلت بهم، أكد وأشقى عليهم. ياه، سنون طويلة مـرّت، عـلى شقائي، في الصباح أعمل "تمرجية" في المستشفى، وفي الليل، أبيـع

في دكان البقالة تحت البيت، أبيع الفول، وطلبات البقالة. كان عيالي يساعدوني في الدكان، يصحو محمود معي قبل الفجر، نُخرِج قدرة الفول، ونضعها في الدكان، وأقف أبيع الفول لأهل الحي، وكانت صباح في البيت تجهز الفطور وتلبّس إخوتها للمدارس، ومحمود ابني الكبير معي في المحل، أول ما نخلّص البيع، يلبس ملابس مدرسته، ويتوكل على الله، كان رجلا، مكان أبيه، ويشبه أباه "جاد الكريم"، نفس ملامح أهل الصعيد، طويل، وأسمر، وجاد، تحمل المسؤولية من صغره، كنت أشتكي له، فكان يخفف عني، ويقول: نحن أحسن من غيرنا يا أمي. والحمد لله، الدكان يكفينا، ارتاحي يا أمي من شغل المستشفى. قلت له: شغلي في مستشفى "أبو الريش" لا يتعبني يا حبيبي، والمرتب يفيد في مصاريف البيت، ويكون لي معاش لما أكبر في السن، وينفع البنات يا حبيبي.

مرت السنون، العيال كبروا، ومحمود حبيب قلبي معي في كل وقت، يساعدني، فضّل أن يأخذ دبلوم صنائع، وتم تعيينه في شركة الكهرباء، وكان يساعدني في البيت.

(تبتسم، وتبكي)

صمم محمود حبيبي أن يعيش معي في البيت، قال: لن أسكن في الخارج يا أمي، سأظل معك، أخدمك أنا وزوجتي، وتحتاجين من يخدمك. قلت له: البيت ينوّر بك يا محمود يا حبيبي، تزوج، وعاش في الدور الثاني، ساعدني في تربية إخوته، وزواج البنتين، وزوجته كانت يدها بيدي في كل شيء، تخدم عيالي، وتربّي عيالها. كان محمود يراعي الدكان، حوّله بقالة كبيرة، من رأس ماله،

وصار يعطيني مبلغا كل شهر، ويقول لي: أنـا متكفـل بالبـضاعة والبيع والشراء يا أماه.

(تهدأ قليلا، تحدق في اللاشيء أمامها)

بقيت أنا وابني الصغير توفيق، آخر عنقـودي، في الـدور الأرضي. توفيق كان ينوي الزواج، صمم أن يخطب بنتا من أقاربنا، قلـت له: يا توفيق، نحن لا أقارب لنا هنا، في القاهرة، كن مثل إخوتك، تـزوج مـن أهـل القـاهرة، هـم أهلنـا، وعـشنا معهـم، أحبونـا وأحببناهم، وكان رزقنا هنا، قال لي: يا أمي، أنا أشتغل في فنـدق في شرم الشيخ، وأغيب أسابيع.

(تتنهد، وقد جفّت دموعها)

توفيق حبيبي قال لي: يا أمي، أنا شـفت في شرم الـشيخ مهـازل البنات، وأحلم ببنت مؤدبة وفية، تصون عرضي وتحمـي عيـالي. قلت: الناس الطيبون كثـيرون يـا ابـني، نـشوف البيـت الطيـب وأكيد عندهم بنت طيبة. قال لي توفيق حبيبي: سأسـافر البلـد، وأشوف أقاربنا.

وفعلا فاجئني وسافر...، ثلاثة أيام غاب عني، واتـصل بي، وقـال لي: أنا في مأمورية تابعة لشغلي، اطمئن قلبي، ولما رجـع، أخـبرني أنه زار أخواله، وأعمامه، وأخذ لهم زيـارة كبـيرة، فاكهـة ولحـما وهدايا للعيال الصغار، اسـتقبلوه غـير مـصدقين أنـه ابـن جـاد الكريم، الذي رحل منذ ثلاثين سنة للقاهرة، صحيح كنا نزورهـم في المناسبات، ولكن سنة وراء الثانية، ثقلـت أرجلنـا عـن البلـد، وانشغلنا بلقمـة العيـش في القـاهرة، والعيـال كـثرت، وصـارت حمولتهم ثقيلة في السفر، وضيافتهم ثقيلة في البلد.

ابني حبيبي توفيق، عاد من البلد، وقال لي: يـا أمـي، أنـا شـفت بنت خالي "أمين "، بنت مؤدبـة، متعلمـة، معهـا دبلـوم الفنيـة، أبوها علّمها، ياه يا ابني، كنا سنـسافر الأسـبوع القـادم نخطـب بنت أخي أمين، كنت سترجعني للبلد، وسط أخوتي، كنـت أفكـر أسوّي معاشي، وأروح عند أهلي، مناي أقضي آخر سنيني في البلد، وسط إخوتي، وعيال عمي، ودي أني أدفن هناك، جنب أبي وأمـي وجدي وجدتي. آه، آه..

المشهد الثاني

(مشهد بيت أم نعمة من الداخل، حيث نشاهد صالة فسيحة، بها مقاعد على الطراز المصري البسيط (كنبات بلدي)، ومفروش في الأرض سجاد بسيط، وفي الأركان ثلاجة، وبوفيه قديم...، المنظر يذكّرنا بأساس سنوات السبيعينيات السائد في مصر، وفي ركن التلفاز موضوع على طاولة صغيرة، ويعلوه جهاز الستلايت، ونرى أبناء أم نعمة: نعمة، وحنان، ومحمود وتوفيق وإبراهيم، مختلفي الأعمار، أكبرهم نعمة في الأربعينيات، ويصغرها محمود بعام، أما إبراهيم فهو في الثلاثينيات، وحنان تصغره بعامين، وتوفيق في أواخر العشرينيات من العمر، وفي الجلسة أيضا نشاهد زوج نعمة "محفوظ" وزوج حنان "يحيي"، وعدد من الأحفاد مختلفي الأعمار)

حنان: توفيق، هل نويت الزواج فعلا؟

توفيق: إن شاء الله يا حنان.

حنان: مبارك عليك يا حبيبي.

توفيق: الله يبارك لك، "عقبال" أولادك إن شاء الله.

يحيي (زوجها): وأين ستسكن يا توفيق؟

أم نعمة: سيسكن معي طبعا، هل تتركني يا توفيق؟

توفيق (بحنو): أبدا يا أمي، أنتِ فضلك عليّ.

أم نعمة (بحب): ربنا يخليك يا حبيبي، خائف دائما علي.

حنان: اتفقنا أن يكون الدور الأول للبنات، يعني يكون مرسى للبنات.

أم نعمة (بعجب): البنات تيجي على عيوننا ورؤوسنا.

يحيي (بخبث): طبعا يا حماتي، البيت بيتنا كلنا.
محمود (متدخلا): ماذا تقصدين يا حنان؟
حنان: أبدا يا محمود، أنا أسأل فقط، السؤال محرّم؟!
محمود: طبعا لا.
يحيي (لمحمود): ما لك يا محمود، وجهك تغيّر!
محمود: أنا شممت رائحة غير حلوة في كلام حنان.
حنان (بغضب): ماذا تعني يا محمود، كلامك بدون طعم.
توفيق (ملطفا الجو): خيرًا يا جماعة، نحن إخوة، صلوا على النبي، لماذا نزعل من بعض؟
محمود: عليه الصلاة والسلام، أبدا، لا زعل ولا شيء.
حنان (متجاهلة كلام أخيها): أنا أسألك يا توفيق، لماذا لا تؤجر شقة في الخارج؟ وتعيش مثلنا.
أم نعمة: يؤجّر شقة، ويبتعد عني؟!
حنان: كلنا مؤجرين، ومعاكِ دائما يا أمي.
أم نعمة: أبدا، توفيق حبيبي يعيش معي.
يحيي: براحتك يا حماتي، لكن الدور الأول هو الباقي للبنات.
أم نعمة (بغضب): يا يحيي، البيت بيتي، وتوفيق ابني.
نعمة (متدخلة بلطف): أبدا يا أمي، حنان تقصد أن الدور الأول مكان لأي بنت منّا، تغضب، تحب تغيّر جوًّا، فقط يا أمي.
إبراهيم (ويبدو الجد على محياه): وأي أخت لنا أهلا وسهلا في البيت، نحملها على رؤوسنا.
حنان (بعناد): كيف ندخل البيت، ونأخذ راحتنا، وهناك زوجة لتوفيق.
يحيي: وزوجتك يا توفيق ستشعر بحرج منا، أنا ومحفوظ.

محفوظ (تاركا مشاهدة التلفاز لدى سماعه ذكر اسمه): ماالموضوع يا يحيي؟
توفيق: هو مشغول بالتلفاز يا يحيي.
محفوظ: ولكن سامع الحوار جيدا.
يحيي: وما رأيك يا محفوظ؟
محفوظ: أنا وأنت ضيوف، ولسنا من أهل البيت.
أم نعمة (مستنكرة): أبدا يا أستاذ محفوظ، أنت ويحيي ولداي، مثل محمود وإبراهيم وتوفيق، زوج البنت ابن يا حبيبي.
يحيي: طيب يا حماتي، ونحن حريصون على مصلحتنا كلنا.
محفوظ (بدهاء): عموما يا حماتي، كلام يحيي ليس غلطا، هو يتكلم في الأصول، التي لا تغضب أحدا.
محمود (رافعا صوته): أي أصول؟ أمي حرة، تسكن من تشاء في بيتها، والبيت باسمها، منذ أيام والدنا - الله يرحمه -.
(أصوات متداخلة): الله يرحمه ويحسن إليه.
(يحيي غامزا لزوجته حنان)
حنان: طيب يا محمود، لمّا توفيق يتزوج، ويعيش في الدور الأول، لا مكان لبنت ولا لابن، المكان يزدحم بجهاز العروسة.
أم نعمة (بضيق): هل تريدين لأخيك توفيق أن يسكن بعيدا عني؟
نعمة: هو الآن بعيد عنك يا أمي، يسافر أسبوعين، ويأتي أيام، ويسافر ثاني.
إبراهيم: لأن شغله في شرم الشيخ.
محفوظ: طيب، خذ العروسة معك يا توفيق، بدلا أن تفارقها أسبوعين.

توفيق (يضحك): أسعار الإيجارات في شرم الشيخ ضعف راتبي.
محمود: ونحن لا نريد أن تعيش زوجتك، وتربي عيالك في منطقة كلها أجانب وفيها يهود.
توفيق: أنا أبحث عن شغل في القاهرة، وربنا يسهّل.
أم نعمة: معقول يغيب عن زوجته، ويتركها تعيش في شقة لوحدها أسبوعين، وهي ليس لها أحد في القاهرة.
حنان: عادي يا أمي.
أم نعمة (بغضب): عادي في عينك يا بنت، أنتِ نسيتِ نفسك.
نعمة: هي لا تقصد يا أمي.
أم نعمة: لا تقصد، وربنا في سماه، توفيق لن يؤجر في الخارج.
نعمة: وماذا فيها يا أمي؟ يؤجر أي شقة قريبة منك.
محفوظ: وهو راتبه حلو، لأنه يشتغل في السياحة.
نعمة: يعني يقدر يؤجر شقة في أي مكان في القاهرة.
أم نعمة: حرام عليكم، يؤجر وبيت أمه موجود.
محمود (بضيق): يا جماعة ليس بهذا الشكل، هو شاب، وسيتزوج بالتقسيط وعليه ديون من هنا وهناك.
توفيق: والله يا جماعة، أنا مستعد أؤجر شقة، ولكن هل تقبلون أن أترك زوجتي لوحدها هنا؟
محمود: لا طبعا يا توفيق لا نقبلها.
حنان: ولو سكنت جانب أمك في أي بيت من بيوت الجيران ما المشكلة يا توفيق؟ وخلي المكان هنا لنا أنا وأختك.
توفيق (بضيق شديد): هذا ما تريدينه يا حنان. هذا هو حبك لي؟!
نعمة: نحن نحبك يا أخي، وفكّر فيها يا توفيق، وكلنا سنساعدك،

ولن نترك زوجتك أبدا.
أم نعمة: لن يحصل أبدا، الدور الأرضي هنا واسع، وأنا سأعطي توفيق غرفتين، وللبنتين باقي الشقة.
حنان: لا يا أمي، هذا ظلم، ولو جاءه عيال سيسيطر على البيت.
توفيق (بحزن): هذا هو رأيكم يعني؟
محمود: عيب يا حنان، لا تقولي عن أخيك هذا.
حنان: طبعا يا عم محمود أنت تدافع عنه.
محمود: أنا أدافع عن أخي الصغير، كلكم تزوجتم، والباقي هو، فلنساعده، وربنا يسهّل له.
أم نعمة: ربنا يتمم زواجك يا توفيق.
توفيق: أي زواج يا أمي؟! وإخوتي لا يريدوني في البيت.
أم نعمة: أبدا يا حبيبي، أنت آخر عنقودي، وستعيش معي، وزوجتك بنت أخي " أمين " الطيب، ستكون ابنتي وفي عيوني.
توفيق (بحزن وحزم): لا يا أمي، سأؤجر شقة، قريبة من هنا، أو بعيدة، على قدر إمكاني، حتى لا يقولوا أي كلمة، وخلي البيت لهم.
توفيق (بغضب): والله لن أسكن هنا، وهذا قراري.
أم نعمة (وكانت منشغلة بإطعام أحد الأحفاد الكنافة): لا يا حبيبي، لا يمكن أن تتركني، هل تريد أن تتعب قلب أمك يا توفيق؟!
توفيق (واقفا): لا يا أمي، وهذا قراري...، بصراحة يا أمي، أنا نفسي وقفت من البيت.
(يتحرك توفيق خارجا وهو يقول): وسمعت كلام مثل السم، وكأني لست أخا لهم...، سلام عليكم.

(يتحرك توفيق إلى الباب)

توفيق: أمي، أنا في المقهى...، وسآجي عند السحور، و إن شاء الله أنا مسافر غدا إلى شرم الشيخ.

أم نعمة: توفيق، توفيق، تعال يا حبيبي..

إبراهيم: اهدئي يا أمي، الكلام الذي سمعه توفيق يوجع..

حنان (خارجة من صمتـها مدركة مغـزى التلميح): هـذا الحــق يا جماعة، ويظهر أن الحق يخز في النفس.

محمود (متصنعا الهدوء): اتركيه يا أمي، اتركيه...

(يخرج توفيق، وتتبعه العيون صامتة)

أم نعمة (باكية تناجي توفيق متجاهلة من حولها): أنت زعـلان يا توفيق، إخوتك لا يقصدون... الله يسامحكم، الله يسامحكم..

(إظلام)

المشهد الثالث

(نفس المشهد الأول، ونرى أم نعمة في جلستها، وندبها، والنـاس ملتفون حولها، ونلاحظ اختلاف وجوه بعـض النـاس، فبعـضهم انصرف، وجاء آخرون)

أم نعمة: أنا السبب يا عيالي، أنا السبب يا أحبابي.

يا رب الطف بي!

الطف بعبدتك "عائشة" المسكينة، أم نعمة، في آخر أيام عمرهـا، لن تجد من يحملها لقبرها... ستموت وحيدة، وممكن أن تتعفن جثتي ولا أحد يحملني يوم خروجي، آه، آه، آه.

(أصوات من حولها)

اهدئي يا أم نعمة

كلنا أهلك وإخوتك.

ربنا قبل ما يُبلي يدبرها للعبد.

(صوت إمام المسجد)

عيالك في الجنة يا أم نعمة، وأنتِ في الجنة أيضا، تعالي معنا، صلي واستغفري ربك، وادعي لهم بالمغفرة.

(أم نعمة تناجي عيالها)

الله يرحم أباكم، جاد الكريم، كـان يقـول لي: يـا عائـشة العيـال نصرة، نتكئ عليهـم في كبرنا، ويحملوننا في خروجنا. الله يرحمـك يا أبا محمود، ويرحم أيامك وحكمتك، كانت الموظفـة تـأتي لنـا هنا، وتوزع علينا برشام منع الحمل، وتقول: نظّموا الأسرة، يكفي اثنان. كان يضحك، ويقول: فقط اثنان يا أبله، ونحن في الـصعيد ننجب وننجب، حتى ينقطع نسل المرأة، والرجل يـتزوج عليهـا،

الثانية والثالثة، لأن العيال "عزوة"، الولد يحمي أختـه، والأخـت تعطف على أخيها، وتـساعد أمهـا. ولـو حـصل شيء لعيـل مـن العيال- لا قدّر الله - يكون أخوه في كتف أبيه.
الحمد لله يا أبا محمود...
الضربة كانت قوية، أخذت نسلنا كله، الحمد لله يا رب.

(تحملق في السماء وتنظر ببلاهة للعيون المبحلقة فيها)
يا نعمة، آه، يا بنتي، يا حبيبتي، آه، آه.
كنتِ أختي، حبيبتي، يدك مع يدي. لما ولدتك، وكنتِ أول نسلي، أبوك قال: الحمد لله يا عائشة على البنت. قلت لـه: كـان نفـسي يكون ولدا يا جاد. ضحك وقال: البطـن الـتي تـأتي بالبنـت تـأتي بالولد، المهم الرضا. كان أبوكِ يضحك ويقول: البنت رزقها واسـع يا عائشة، هي نعمة ربنا، الحمد لله. وسكت وقتها وضحك وقال: هي نعمة، والحمد لله على نعمته، وسماكِ نعمة. قلت له: أنـت رجل طيب وصالح يا جاد الكريم. قال لي: يا أم نعمـة، أول مـرة أسمعها، كان طعمها حلو في أذني، من يـرضَ بمـا أعطـاه الله، الله يزيده ويبارك له، والبنت الكبيرة أم لإخوتها.
وكنتِ يا "نعمة" القلب الحنـون لإخوتـك، تحمـلين الرضـيع، وتطبخين معي، منذ صغرك، يا حبيبتي، يا نور عيني، كـان قلبـي يتقطع عليكِ، وأنت ترجعين مـن مدرسـتك، وتقـفين في المطبـخ معي، وتقولين: أنا معكِ يا أمي. أقولك: ارتاحي يا بنتي. تقـولين: أما ترتاحين أنتِ من شغلك في المستشفى والدكان.
آه، آه...
فضلتِ أن تتزوج أختك قبلك، وقلتِ: أختي الأول، وأنا أسـاعدك

في الجهاز يا أمي، أنا أشتغل، والعرسان ما أكثرهم، نستّر أختنا حنان في الأول.

آه ، آه، آه.

آه يا أولادي يا حبايبي

(تناجي الزوج)

الله يرحمك يا جاد.

أنت سعيت في تعييني في المستشفى. قلت لي: يا عائشة، سمعت أن الحكومة تعين الحريم في المستشفيات. قلت له: كيف؟ قال: أبدا، تشتغلين في المستشفى. قلت: ماذا أشتغل فيه وأنا عندي الابتدائية فقط ؟ قال لي: زوجة صاحبي تعينت فيه، وهو عرض الموضوع علي. قلت له: كما ترى يا أبا محمود.

وفعلا، أخذ مني شهادة الميلاد، وطلع لي بطاقة شخصية، وقدم لي في المستشفى. الله يرحمه ويحسن إليه، كان رجلا طيبا. كان يقول: نحن فقراء على باب الله، والوظيفة "نواة تسند الزير". وأنا صحتي تعبانة يا عائشة، وما أضمن الدنيا، أنا رجل رزقي يوم بيوم، يوم شغل، ويوم راحة، يوم صحة ويوم مرض. لكن الوظيفة أمان في النهاية.

آه، آه، آه...

الله يرحمك يا جاد، كنت حكيما، فعلا كلامك كان صحيحا، الله يرحمك يا أبا عيالي، تمسّكت بأن يناديني الناس "أم نعمة"، رغم أن ربنا رزقنا بدلا من الولد ثلاثة، وكنت تقول: أنا أبو محمود، وأنتِ أم نعمة. وكنت تضحك وتقول: سبحان الله يا أم نعمة، فعلا أنتِ أم النعمة، والنعمة زادت، ورزق ربنا زاد بعد ولادة نعمة ابنتنا.

اشترينا قطعة الأرض، وكان معنا مبلغ، قلنا نبني البيت بسرعة، كان الغلاء بدأ، كانت بطني قدامي، ونعمة على يدي، وأنا مع أبيك نبني البيت.

اكتمل الدور الأول، وربنا رزقنا بمحمود، والحمد لله، صار عندنا البنت والولد. قلت لجاد لما حضن الولد، وكانت الفرحة ترقص في عيونه، ماذا ستسميه يا جاد؟ قال لي: الحمد لله، العبد يحمد ربنا، وربنا يزيده، اذكري كلامي هذا يا عائشة، اللهم اجعلنا من الحامدين. ونظر لي وقال: نسميه محمود إن شاء الله، على اسم نبينا محمد، اللهم احمه يا رب.

لا أنسى يا محمود، يا حبيبي، أباك وهو يحملك، ويؤذن بالآذان في أذنك، ويدعو ويقول: اللهم بارك فيه، واحمه من شر البشر والدنيا.

كنت رجلي بعد وفاة أبيك جاد يا محمود، يدك على يدي، وكنت أقول لهم: تعلّم أنت يا محمود، مع إخوتك إبراهيم وتوفيق، والبنتان معي في الدار، نعلمهما حتى الابتدائية، والبنت في النهاية مصيرها الزواج. كان يضحك ويقول: أبي أوصاكِ بهذا يا أمي؟ أضحك وأقول له: لا يا ابني. قال: أوصاكِ بماذا يا أمي؟ أضحك وأقول: العيال يتعلمون كلهم.

يا حبيبي يا محمود، حملت الهم من صغرك، وكنت رجلا مثل أبيك.

حملت "القروانة" مع أخيك إبراهيم في أجازة الصيف، وكنت تقول: ربنا يرزقنا بمصاريف المدرسة. كنت أمسكك وأقول لك: يا حبيبي، شغلي والدكان، تقول لي: البنتان معك يا أمي، وهما في أجازة مثلنا.

آه، آه، آه.
أنا السبب!
كلهم تجمعوا، وناموا عندي، توفيق رجع من المقهى، سلم علي، وقال لي: أنا تسحرت يا أمي، وسأنام...
(أم نعمة ذاهلة تواصل وهي تنظر للأحجار التي اعتلت بيتها)
كله منكِ، دفنتِ عيالي تحتكِ، كنا ننظر للجبل ونقول سبحان الله...، سبحان من نصبه، ورفعه، كنا نسمع عن خطر الأحجار، ونضحك ونقول: لنا سنون وسنون، ونحن نجاورها، الحامي هو الله.
غدرتِ بنا، ونحن المجاورون لكِ طول العمر، ولدتُ عيالي هنا، على قاع الجبل، والحجارة كانت شاهدة عليهم وهم يكبرون، يوم بعد يوم، لعبوا فيها، وصعدوا قمة الجبل، ووقفوا عليها.
أولادي كانوا يتسلقون الحجارة، ويلعبون عسكر وحرامية عليها، والبنات كانت تجلس عليها في القاع، في ليالي الصيف الرطبة، هواء الجبل يرد الروح، وفي الشتاء، ما أحلى شمسها!
(تنظر للجبل العالي)
غدرتِ بعيالي يا حجارة الجبل، أكلتِ سنين عمري، البيت، والولد، والحفيد، هل ذنبنا أننا تمسكنا أن نعيش تحتك؟ قالوا: روحوا عن الجبل، الجبل غدار. قلنا: الغدر في البشر، الحجارة ثابتة، والبشر متقلبون.
قال لنا مندوب الحزب الوطني، في الانتخابات الماضية: ستأخذون شقق، في مشروع السيدة سوزان مبارك. قلنا: أين؟ قال: في القاهرة الجديدة. سألت عيالي: بعيدة عن مكاننا هنا؟ قالوا: نعم يا أمي، هي في الصحراء، البعيدة، شرق البلد. يعني كم يا أولاد؟

قالوا: حوالي أربعين أو خمسين كيلو. قلت: يا خرابي، هـذا سـفر، خلينا مجاورين الجبل، مـا شـفنا منـه أي شيء، الحجـارة التـي تسقط صغيرة، ويأتي أهل المحاجر يأخذونها، وينظفـون المكـان، والحامي هو الله.

قال المندوب، مندوب حزب الحكومة: أعطونا أصواتكم، وعيوننا لكم. قلت لهم: أنا طول عمري في الدويقة، هنا في هذه العزبـة، وأهلها وحجارتها تعرفني وتعرف عيـالي. قـال المنـدوب: طيـب، أعطونا أصواتكم، ونعطيكم الشقق. قلـت: معقـول، أتـرك بيـت دورين، وفيه البقالة، وأترك ناسي الطيبين، وأحشر نفسي وعيـالي في شقة.

قال المندوب، وكان معه في يومها سعادة البك الكبير، الـذي فـاز في الانتخابات، طيب: سـجلوا أسـماءكم، وخـذوا الـشقق، وأنتـم قاعدون في البيوت.

المشهد الرابع

(مشهد بيت أم نعمة من الداخل، والأولاد والبنات والأحفاد في تجمعهم، يقلّبون التلفاز على المحطات الفضائية، ويتناولون الكنافة والقطايف، ويبدو التجهم على وجوههم)

إبراهيم: الناس في العزبة تحكي عن الشقق الجديدة.

محمود: أي شقق يا إبراهيم؟

إبراهيم: شقق إسكان الدخل المحدود، شقق سوزان مبارك.

محمود: يا عمي، أنت تصدق؟ كلام جرائد.

إبراهيم: كيف؟! جيراننا بدأوا يستلمون الشقق، ونحن أولى، ولنسرع في الموضوع، قبل أن تنتهي الشقق.

محمود: طيب، نسأل عنه، ونرى...

إبراهيم (بضيق): أنا سألت وعرفت الشروط.

يحيي: وما هي الشروط؟

إبراهيم: أول شرط أن يكون الحاصل على الشقة مقيما في البيت، والشرط الثاني أنه يكون مالكا في البيت.

محمود: طيب، الشرطان لا ينطبقان عليك.

(يتطلع في الوجوه من حوله)

محمود: أنت يا إبراهيم ساكن خارج البيت.

إبراهيم (متصنعا الهدوء): أرجو أن تفهم يا محمود ما أقصده.

محمود: خيرا يا حبيبي.

إبراهيم: أنت عارف أنني ساكن بالإيجار في شقة، والإيجار مؤقت وليس إيجارا قديما، يعني بعد انتهاء المدة، يمكن للمالك ألا يجدد لي.

محمود: أنا أعرف هذا.
إبراهيم: حلو، أنا أرى أني آخذ الشقة.
محمود: كيف تأخذها يعني؟
إبراهيم: أنت مقيم في البيت أنت وأمي، توفيق سيسكن هنا إن شاء الله، ولا تدفعون إيجارا ولا شيء.
محمود: صحيح..
إبراهيم: وأنت منتفع بالبيت؛ ساكن في الدور الثاني، ومسيطر على دكان الوالد..
محمود: تعدد النعم عليّ؟! أنا أخوك يا إبراهيم.
إبراهيم (مواصلا بحنق): ربنا يزيدك، أنا أقول الحق، أنت عندك وظيفتك في مؤسسة الكهرباء، ورواتبها حلوة.
محفوظ: طبعا، بعد أن خصخصوها وسرّحوا كثير من الموظفين، صارت تعطي رواتب كبيرة...، الوظيفة الآن صارت عزيزة وغالية.
يحيي: ربنا يبارك لك يا محمود يا أخي، وأنت صاحب عيال أيضا.
محمود: ماذا تقصد يا إبراهيم؟
إبراهيم: أنا لا أحسدك ولا أعدد النعم عليك، ولكن لي طلب واحد.
محمود: خيرا!
إبراهيم: آخذ أنا الشقة.
محمود: كيف؟
إبراهيم: أقدم أنا الطلب، وآخذ الشقة.
محمود: والشروط، كيف تنطبق عليك؟
إبراهيم: أبدا، بلدك تسير بالورق، أسجل نفسي أني مقيم في

البيت مكانك في الدور الثاني، على الورق، ولما يأتي المندوب، آجي أنا وعيالي نسكن مكانك كم يوم، وأنت تسكن في شقتي، حتى يتأكدوا أنني مقيم هنا.

محفوظ: والله فكرة جميلة.

يحيي: وأنت قاعد مكانك بدون قلق.

محمود: نعم، ولكن الشرط لمن يأخذ الشقة أنه يخلي البيت.

إبراهيم: لا تخلي البيت، ولا شيء، نعطي الموظف مبلغا، ويسكت..

محفوظ: صحيح، والناس كلها أخذت الشقق، وهم لا يزالون ساكنين في بيوتهم في الدويقة، وأخذوا الشقق، وأغلقوها.

يحيي: صح.

محمود: طيب عندي فكرة ثانية..

إبراهيم: خيرا!

محمود: سجل نفسك أنك قاعد في الدور الأرضي، مع الوالدة.

إبراهيم: سيضيع نصيب أمي في شقة في المشروع، يعني أنت وأمك لكما شقتان رسميا، آخذ أنا مكانك، وخذ أنت شقة أمك.

محمود: غير معقول؟!

إبراهيم: لا، معقول، وأمي تعيش معنا معززة مكرمة.

حنان: لا طبعا، شقة أمي تظل باسمها، لأنها مرسى لي أنا ونعمة. أنت ومحمود حلّا المشكلة بعيدا عن شقة أمي.

إبراهيم: بهذا تعقدت المشكلة.

محمود: أنت قلت إن الموضوع على الورق، طيب، سجل مكان شقة أمي، أنتم تتكلمون وكأننا سنأخذ الشقق ونعيش فيها، ونترك الحي هنا.

حنان: أنا أتكلم عن المستقبل.
محفوظ: كلام معقول، يمكن الحكومة تطلب إخلاء البيت هنا.
نعمة: لا نترك بيتنا أبدا مهما حدث.
حنان: تكلموا عن أي شيء، ولكن شقة أمي لا أحد يقترب منها.
محمود: لا تشعليها يا حنان.
حنان (ضاحكة): أنا أطالب بحقي في البيت، أنا ونعمة، وأنتم الرجال تفكرون بأنفسكم فقط.
زوجة محمود: هل نسيت يا حنان أننا ربّينا أولادك، تروحين شغلك، وتتركين عيالك عندنا، وأنا ربيتهم وكأنهم عيالي.
حنان: أمي التي ربتهم.
زوجة محمود: يا كذابة، أمك تروح المستشفى، كيف ستربيهم؟ ألا تخافين الله على لسانك هذا؟
حنان: احفظي لسانك، أنتِ زوجة أخي الكبير، ولا أريد أن أغلط فيكِ.
محمود لزوجته: قلت لك: اخرسي، قومي من هنا، قومي.
زوجة محمود: لن أقوم والله، أنت طري معهم، وستضيع حق عيالي.
محمود (بانفعال): هم إخوتي...

أم نعمة (قادمة من المطبخ حاملة طبق قطايف): خيرا، صوتكم عال!
محمود: أبدا يا أمي، نحن نتشاور حول شقق الإسكان الجديدة، وإخلاء البيت، كما تقول الحكومة.
أم نعمة: والله أبدا، لن يحدث، لن أترك المكان ولا البيت، حتى

يوم وفاتي.
نعمة: ربنا يحفظك يا أمي، هذا كلام فقط.
إبراهيم: ماذا قلت يا محمود؟
محمود: قلت لا إله إلا الله.
إبراهيم: محمد رسول الله، ماذا قررت؟
محفوظ: الموضوع سهل، وأنا أرى أن تستغلوا ما يعرضه الحزب الوطني عليكم، خصوصا أن النائب هنا يحتاج لأصواتكم.
يحيي: وهذه الحسنة الوحيدة لعضو مجلس الشعب هنا، تعالوا شوفوا النائب في دائرتنا، لا صوت ولا صورة.
إبراهيم: مندوب الحزب قابلني، ووعدني أنه ينهي موضوع الشقتين، شقة لي وشقة لأمك بسرعة، وسيحتاج...
أم نعمة: يحتاج ماذا...؟
إبراهيم: يأخذ ألفين جنيه، وينهي الموضوع كله، وأنا جاهز إن شاء الله.
زوجة محمود: ونحن ماذا نفعل يا أستاذ إبراهيم؟ نكون في الشارع. نفترض أن الحكومة أخلت البيت، أين نعيش؟
محمود: اسكتي أنتِ.
زوجة محمود (مواصلة): يعني أنتَ تفكر في مصلحتك، ونسيت أن الحكومة أعطت مهلة للناس، والناس يماطلون فقط، الشقة من حقنا.
إبراهيم: أنتم تريدون كل شيء في بطنكم؛ البيت والدكان والشقة؟!
محمود: نتفاهم بالعقل.
إبراهيم: أي عقل؟

زوجة محمود: يا أستاذ إبراهيم، لا تنس أن الدكان شغّالة برأس مال أخيك وتوفيرنا، ويدفع مبلغ لأمك كل شهر، والمبلغ هذا مقابل إيجارنا للدكان.

زوجة إبراهيم (ثائرة على زوجة محمود): أنا ساكتة لكِ، يعني أنتِ وزوجك، لا أحد يملأ عيونكم، مسيطران على البيت كله، فوق وتحت.
زوجة محمود: حرام عليكِ، هل تنكرين أن محمود ساعد إبراهيم ساعة زواجه؟ أعطاه كم ألف، مقدم شقتك يا هانم...
محمود (لزوجته): عيب، هو أخي، ولا تتدخلي في الكلام.
زوجة إبراهيم: تعالوا شوفوا سطح البيت، كله عشش البط والأوز والفراخ والأرانب..
أم نعمة: عيب يا ابنتي، أنا التي أربي الفراخ وزوجة محمود تساعدني..
محمود: يا إبراهيم، نكمل كلامنا وقت ثاني، ممكن.
إبراهيم: لا، ننهي الموضوع الآن.
محمود: الحريم لو دخلن، سنخسر بعضنا.
محفوظ: اهدأ يا إبراهيم، نكمل في وقت ثاني..
يحيي: النفوس مكهربة الآن، اهدأ يا إبراهيم.
إبراهيم (بعناد): أريد كلمة واحدة...
محمود: صلّ على النبي..
(الأصوات من حوله تردد الصلاة والسلام على الرسول)
إبراهيم: موافق على طلبي، نعم أم لا؟
محمود: نتكلم غدا..

إبراهيم (واقفا): هذه فرصتي، محكوم علي أني أعيش في الهـواء في شقة إيجار مؤقت!
محفوظ: اجلس يا إبراهيم، الكلام أخذ وعطاء.
إبراهيم: والله لو ما حصل بالرضا، سآخذ حقي بيدي.
يحيي: ليس بهذا الشكل.
أم نعمة (صارخة): عيب يا إبراهيم، احترم أخاك الأكبر.
إبراهيم: أخي الطماع، الجشع، الأناني.
أم نعمة: أنت قليل الأدب يا ولد.
إبراهيم: طبعا، أنا الوحيـد المكـروه في البيـت، ووسـط عيالـك، تحبين الأكبر لأنه ساعدك بعد وفاة أبي، وتحبين توفيـق الـصغير، آخر العنقود، وأنا كلب أجرب وسطهم.
أم نعمة: أبدا، عيب، كلكم حب واحد في قلبي.
إبراهيم: أنا قاعد في البيت، لن أتزحزح منه.
أم نعمة (تهدئه): أهلا وسهلا، بيتك يا حبيبي.
إبراهيم: سأسكن هنا، وسأحضر عفش بيتي، وأقعد عـلى حقـي في البيت.
محمود: أهلا بك، حقك على رأسنا.
إبراهيم: وسآخذ غرفة من شقتك.
محمود: عادي يا إبراهيم، أهلا بك.
إبراهيم (بعناد): أنا أسكن تحت في الدور الأرضي وفـوق عنـدك أيضا، من اليوم، هذا حقي في البيت.
زوجة محمود: وأنا وأخوك نُحشَر في غرفتين؟
إبراهيم: أنا قلت ما عندي.
(متوجها لزوجته)

إبراهيم: سنعيش هنا، وأنا سأبلغ منـدوب الحـزب الوطـني أني ساكن هنا، ويحدث ما يحدث، هذا حقي.
زوجة إبراهيم: كـما تـرى يـا إبـراهيم، هـذه مـصلحة عيالـك، ومستقبلهم.
إبراهيم: الكلام الطيب لا ينفع في هذا الزمن.
زوجة محمود: تعال ابنِ الدور الثالث وعش فيه.
إبراهيم: أنا أبني هنا، وبعد سنة أو سنتين يـأتي تنكيـس رسـمي للبيت من البلدية، والله لن يحصل أبدا.
أم نعمـة (تبـكي): تريـد أن تخنقنـا في البيـت يـا إبـراهيم، الله يسامحك.
إبراهيم: يا أمي، أعيـش عـلى راتـبي وراتـب زوجـتي، والحيـاة غالية..
أم نعمة: الله يسامحك يا بني، الله يسامحك..
إبراهيم: أنا قاعد، وأي واحد يتكلم أنا سأقف له، هذا حقي.
حنان: وأنا ونعمة أين حقوقنا؟ خذوا أنتم البيت، وأعطونا حقنا مالا. هذا نصيبنا في بيـت أبينـا. وقبـل أي اتفـاق، يـا محمـود، تعطونا حقوقنا، وخذوا البيت امرحوا فيـه، ونحـن نـأتي ضـيوفا هنا.
يحيي: صح، هذا شرع ربنا، ونـصيب البنتـين في البيـت يـساوي نصيب رجل منكم، هذا شرع ربنا.
محمود: نحن إخوة... يا جماعة، عيب هذا الكلام.
حنان: المطالبة بالحق ليست عيبا، العيب أكل الحقوق.
محفوظ: نجلس جلسة ونتصارح فيها، ومن له حق يأخذه.
محمود: أي حقوق تتحدثون عنها؟ أنا شقيت وتعبت مع أمكم،

حتى ربتكم، سنون عمري الـتي قـضيتها في تـربيتكم ليـس لهـا ثمن؟ تركت الجامعة، وكانت حلم حياتي، وأخذت الدبلوم، حتـى لا أرهق أمكم في المصاريف، وأنت يا إبراهيم، أكملـت تعليمـك العالي أنت وتوفيق وحنان. أهذا بلا ثمن؟

حنان: ونشكر لك هذا يا محمود.

محمود: وأنتِ تزوجتِ قبل أختك نعمة، وحملت أنا مـصاريف زواجك وتجهيزك، هذا بلا ثمن؟

يحيي: كل الناس تفعل هذا، هل سيلقون بناتهم في الشارع؟

أم نعمة: اهدأوا، وقولوا كلاما يرضي ربنا.

محفوظ: أكرر كلامي، نقعد قعدة، ونتفاهم فيهـا بـأخوة، وكـل واحد يأخذ حقه، ما رأيكم لو كانت القعدة بعد العيد؟

زوجة محمود: لا قعدة ولا شيء، من لا يعجبه يشرب من البحر.

محمود (لزوجته): عيب، قلت لكِ لا تتدخلي.

إبراهيم (صائحا): ومن هنا وحتى موعد القعـدة والاتفـاق، أنـا سأعيش هنا، وسأقدم على الشقة، حتى أحفظ حقي.

أم نعمة: تفاهم يا إبراهيم مع محمود.

إبراهيم (هازئا وصارخا): لا يا أمـي، أنـا حاولـت معـه، بـدون فائدة.. أنا قاعد... قاعد هنا، على قلبكم، قاعد غصبا عن الثخـين فيكم..

أم نعمة (صارخة): لا تخسروا بعضكم، حرام عليكم..

(إظلام)

المشهد الخامس

(نفس المشهد الأول، ونرى أم نعمة في جلستها، وندبها، والنـاس ملتفون حولها، وهي تخاطب نفسها دون الانتباه لأحد)

أم نعمة: آه يا عيالي، آه حبايبي...

لماذا يا إبراهيم؟

لماذا يا بني؟

هـذا هـو البيـت، الـذي ربيتكـم فيـه، تحـت الـصخر، الـصخر الغاضب.

كل طوبة في البيت شاهدة على أيامي. أول مـا بنينـا البيـت أنـا وأبوكم، كان غرفتين وساحة. الله يرحمك يا جاد، يا أبـا محمـود، قلت لي: نعمل البيت مثل بيوت البلد، غرفة لنا وغرفـة للعيـال ودهليز، و"عفشة" المياه والمطبخ.

بنينا البيت بـالطوب الأحمـر، والـسقف مـن الخـشب، وكانـت الحيطان على المحارة والأسمنت، سنون مرت ونحـن عـلى هـذه الحالة، البيت دور واحد، والدهليز غير مبلط، فقط عـلى الأرض، وكان فيه شجرة "نبق". العيال كبرت، وجمع أبو محمـود مبلغـا، قلت له: نصلح البيـت. قـال: كيـف؟ قلـت لـه: نـصُبُّ الـسقف خرسانة، ونبني الدهليز، ونطلع بالدور الثـاني. قـال: لمـاذا يـا أم محمود؟ قلت له: الناس حولنا عملت هذا، ونوسع البيـت عـلى العيال. قال المهم أننا نبني دكانا في الدور الأرضي، ينفعنا، وأتـرك حياة القروانة، والعمال والترحيلة.

بنينا البيت، وقطعنا شجرة النبق، وعشنا فيه.

(تتنهد وسط دموعها)

الله يرحمك يا جاد، كنت حكيما، الدكان نفعنا...، الـدكان سـترنا، وهو الدكان الذي وقف فيه محمود وأختـه نعمـة معـي، والآن محمود يديره، وريحني من تعبه.
مات جاد، أبو محمود، مات، وترك العيال.
ظل مريضا، كان عنده ربو، مسكين يا جاد، جاءه الربو من حمله الإسمنت والرمل، كان دائما يكح، يكح، ويقوم في الليل يكح... الله يرحمه.
يوم موته، ظل يكح، يكح، يكح...، حتى أخرج دمـا...، آه، وجهـه انتفخ، وأمسك يدي، وقال لي: الحمـل ثقيـل عليـك يـا عائـشة، أشهد ربنا، وربنا عالم، أني ما قعدت يوما ولا ارتحت، ولا رفـضت رزقا لي، مهما كان، اشتغلت كـل شـغلة جـاءت أمـامي، الحمـل ثقيل عليك، ولكن ربنا يعطي القوة على قدر البلاء.
أمسكَ يدي...، وكنا ساعة الظهر.
صرخت، كان وصدره منتفخا، ووجهه أحمر، وخرج السر الإلهـي وهو ماسك يدي، صرخت... صرخت، تجمع الناس، وجاء محمود ونعمة، الولد خاف وصرخ: أبوي، أبوي. والبنت: بكـت ولطمـت مثلي.
والناس قالوا: الله يرحمك يا عم جاد.
كلهم تعاونوا، وقـالوا: نطلـع بـه وندفنـه، قبـل المغـرب، حـرام الجثمان يبيت وسط العيال، إكرام الميت دفنه.
الله يرحمك يا جاد، كان مشهدك يوم الدفن رهيبا، كل الدويقـة مشوا في جنازتك، كنت رجلا طيبا. صلوا عليك، ودفنوك...
ولما رجعت البيت، تذكرت أنك كنت تتمنى أن تدفن في البلد، في الصعيد. قمت من ساعتها لشيخ المسجد، وحكيـت لـه الوصـية،

قال: ربنا اختار لـه مكـان موتـه. { ولا تـدري نفـس بـأي أرض تموت }...

آه يا أولادي...يا أحبابي.
هذا قضاء ربنا، أنا راضية به.
ناموا، وأغلقوا الغرف عليهم، ونمت أنـا في الـصالة، قبـل الفجـر، سمعت الباب يُفتَح، شعرت بأقدام توفيـق، تتـسلل إلى غرفتـه، أحفظ حركاته، دخل ونام.
تعمد أن يأتي متأخرا، ولو كان جاء مبكـرا كـان شـاف الوجـوه متقلبة، وملامحي منكسرة...
(يضعف صوتها، ثم يشتد)
الله يرحمكم... يا عيالي...
الله يرحمك يا جاد...
مشتاقة لكم، مناي أن أكون معكم...
مشتاقة لليالي البرد الطويلة، عندما كنت أوفّر ثمن الحطب، ثمـن الفحم، ثمن الجاز، وأتحمـل الـبرد، وأشـد عـلى جـسدي بطانيـة قديمة، وأحتضنكم يا عيالي.
ونظل طول الليل ملتصقين، ندفئ بعضنا، آه، آه..
أتذكركم يا عيالي، أنفاسكم، واحدًا واحدًا، الكبير يحضن الصغير، الولد جنب أخيه، والبنت في عنق أختها.
أنفاسكم الدافئة في رقبتي، وأنتم تدفنون أصـابعكم في صـدري، كنا ننام، ونشبع نوما، وننـسى الـبرد، وتغمـضون جفـونكم عـلى همساتي، حكاياتي، أنسى فيها شقاء اليوم.
آه، آه، آه

(ترتكن جانب بيتها، وتدفن رأسها بين كفيها، وتنتحب بصوت عال، يرتفع فيكون صاخبًا، فيما نسمع أصوات الناس المتجمعة حول الأحجار الضخمة، والكلمات المختلطة بالصرخات، ونسمع دوي سيارات الإسعاف، وعربات المطافئ والإنقاذ).

مونودراما:

الشحاذ

<u>ملحوظة:</u> يمكن الاستعانة في الديكور، بصور مكبرة (بالحاسوب) تعلق في المسرح أو مكان العرض، لمشهد واقعي ملتقط حسب تفصيل كل لوحة مسرحية، ويمكن إضافة بعض المجسمات إمعانا في الإيهام.

اللوحة الأولى

(شارع مرصوف جيدا، يلمع إسفلته تحت ضوء أعمدة النور الصفراء التي تنتصب في جنبات الشارع، يبدو مسجد بقبة ومئذنة موصدة أبوابه ونوافذه، ونرى "زهير" شابا في الثلاثينيات من عمره، يقف بجوار المسجد، يتفحص المارة من الناس باستعطاف، يرتدي ثيابا غير دالة على فقره، حيث يلبس قميصا فاتح اللون، وبنطالا غامقا، الشارع هادئ الحركة، المارة فيه قلة، ويمكن أن نرى وميض السيارات يلمع في الظلام، يتحدث زهير بطريقة ساذجة، مع تلقائية في النطق)

زهير مقبلا على أحد المارة ويبدو شبح هذا المار:

أخي الحبيب، ممكن لحظة؟

(يتوقف الظل، فيواصل زهير الكلام)

أريد منك مساعدة بسيطة، أي مبلغ من المال، ظروفي صعبة، إنني عاطل يا أخي، أعيش حياة بائسة، تسألني: أين أهلك؟ أنا أقول لك، أنا من أسرة ممزقة، أبي طلّق أمي وأنا صغير، كنا نعيش في بيت جدي، والد أبي، وجدت نفسي وحيدا، جدي مات، وأبي تزوج امرأة قاسية، وأمي تزوجت - زوجة ثانية -لرجل عجوز، وعاشت ضرة على زوجته الأولى.

(يسكت ويتطلع في المخَاطب)

لماذا تنظر لي؟ أنا أقول الصدق، والله لا أكذب، هل تتخيل نفسك أنك تعاشر أهلا يكرهونك؟ نعم، أبي يضيق بي عندما أشتكي من قسوة زوجته، وزوج أمي منعني من زيارتها، فقط يمكنني أن أتصل بها، إنني أعيش وحيدا تقريبا منذ صغري، لا زلت أذكر

وأنا في التاسعة مـن عمـري، كانـت زوجـة أبي لا تغـسل ثيـابي، وتجبرني على أن أغسل ثيابي يوم أجازتي المدرسية، يـوم الجمعـة، كان أبي ينام حتى الظهيرة، وأنا أستيقظ من الصباح الباكر، أغسل ثيابي، وأنشرها في الشمس، وأنتظر حتى تجف.

(يتحرك الظل مبتعدا)

أرجوك لا تسرْ، أعطني أي مبلغ لأتعشى به، لي يومان لم آكل، أنـا أخوك في الدين، في الوطن، أنا إنسان مثلك.

(يتوقف الظل)

أشكرك لأنك تسمعني، أنا في حاجة لمن يسمعني، نعـم، لا أريـد المال فقط، أريد منك آذانا تصغي لي، أريـد قلبـا يحتـوي قلـبي. تخيل يا أخي، طفلا صغيرا في التاسعة من عمره، يغسل ثيابـه في سـاحة البيـت الخلفيـة، ويطالعـه زمـلاؤه مـن نوافـذ بيـوتهم، ويهزءون به.

(يبكي زهير بحرقة)

كانوا يقولون لي اغسل يا "غـسّال"، لم أسـتطع الـرد، كيـف أرد؟ وأنا أراهم يتنعمون مع آبائهم وأمهاتهم، وأنا أبي وأمـي أوليـاني ظهريهما. ماذا تتوقع؟ كنـت أبـكي، وأنـا أحمـل ثيـابي المجففـة، وأقوم بترتيبها في دولابي. تقول أيـن أبي؟ هـه، أبي لا يعـرف مـن الدنيا إلا العمل والأكل والنوم. إنه طيب، وكثيرا ما كان يقول لي: تحمّل يا زهير، من أجل أبيك، ويقول لي: أنت رجل، وأكبر أبنائي، إلا أنه ظل ألعوبة في يد زوجته الثانية، وأقـول لـك الثانيـة، لأن هناك ثالثة ورابعة.

(ينظر للظل)

نعم، أبي مسكين هـو الآخـر، طلـق أمـي بعـد عـامين أو ثلاثـة،

وسرعان ما تنازلت أمي عن حضانتي لأبي، وتزوجت زوجها العجوز، أمي جميلة، كانت تحبني جدا، ولكنها خضعت لضغط أهلها، وتزوجت، وذهبتُ بحقيبة ثيابي مع خالي إلى بيت أبي، لأعيش مع جدي وجدتي، وكلاهما مات، وتركاني لزوجة أبي الثانية.

(يتهدج صوته، ويعلو نشيجه، يلتقط أنفاسه)

طلق أبي زوجته الثانية، بعدما أنجب منها ولدين، وجدت نفسي أنا وأبي في بيت واحد، نعاني الوحدة، سألته وأنا في الحادية عشرة من عمري: لماذا طلقتها يا أبي؟ احتضنني وهو يقول: من أجلك يا بني، هل تتخيلني خشبا جامدا؟ كنت أبكي لبكائك يا بني، ولكنني ماذا أفعل؟ لقد أنجبت منها ولدين، ولا أريد أن أخسرهما، وأخسرك أنت أيضا، فتحملت يا بني سلاطة لسانها، وسوء خلقها، ولكن الحمولة ثقلت عليّ، وقرفت منها ومن وجهها، فطلقتها، وحسنا فعَلتْ أن أخذتْ الولدين معها، هما صغيران ويحتاجان لرعاية.

(ينظر للظل)

سعدت بكلمات أبي، أحسست أنه يحبني جدا، وكنت أتفانى في خدمته، شهور ووجدته يخبرني أنه تزوج الثالثة، ويخبرني أنها امرأة طيبة، وبالفعل كانت طيبة، ولكنها جاءت ومعها طفل، كانت تدلله، وبالطبع أهملتني جدا، وعانى أبي معها لأن زوجته الثانية كانت تطالبه بنفقة ابنيها، وببيت مستقل، فثارت زوجته الثالثة عليه، وطالبته بالطلاق، لأنها وجدت نفسها تنفق على أبي وعليّ أنا أيضا، وعدت لأعيش أنا وأبي في بيتنا، الذي اسودت حيطانه وبهت أثاثه بفعل الزمن، وفقر أبي. كنت في المرحلة

الثانوية، متفوقا في دراستي، ولكن أبي قال لي: زهير، ساعدني يا بني، لقد كبرت في السن، وراتبي من وظيفتي يضيع في نفقات عيالي، اترك المدرسة، واعمل، تساعد نفسك، وتساعد أباك.

(ينظر لمئذنة المسجد، ثم للسماء)

أشهدك يا ربي، لقد أطعت أبي، وتركت دراستي، وبدأت أعمل في حرف كثيرة، ميكانيك سيارات، وفي محطة غسيل وتشحيم السيارات، بائع في متجر، كل شيء عملت فيه، كنت أمكث شهورا، ثم أجد نفسي مطرودا من العمل، والسبب ليس مني؛ إنهم يكرهونني، نعم، لأنني أفهم الشغل بسرعة، وهم يريدون صبيا تابعا لهم، فيطردني صاحب العمل، أو الأسطى في الورشة. وأعود أبحث عن عمل جديد، في بلدتنا الصغيرة. ياه، إنه لشقاء كبير، أن تفقد الاستقرار في البيت وفي العمل، وتفقد مستقبلك، وتصبح مهددا بالطرد.

(يتسمع من الظل)

لماذا لا أعمل في حرفة واحدة، وأفتتح دكانا؟ هاه، كنت صغيرا، وأبي سرعان ما تزوج الرابعة، كانت فتاة تكبرني بأعوام قليلة، وغار مني أبي، كان يخشى أن يتركني في البيت معها، وهي كانت لعوبة، طردني أبي، وعشت في الشارع، أتنقل بين أصحاب الحرف، وأنا هنا في مدينة صغيرة، أصحاب الورش يعرفون بعضهم البعض.

(يسمع بضيق ويرد بعصبية)

نعم، هناك عيب فيّ، كنت ثائرا على الأسطوات في الورش، أنا أجيد العمل بسرعة، ولا أحب من يتحكم في، ويأمرني وينهاني، أريد أن أكون حرا، وساعتها سأعطيك عملا مميزا، ولكنهم لم

يفهموني، وهذا سبب مشكلاتي في العمل.
أنا الآن ضائع، بدون منزل، بدون أهل، بدون عمل، بدون مستقبل، هل تعطيني أي شيء، أريد أن أتعشى، الجوع يقرصني؟

(يمد يده، ويأخذ مبلغا من المال، وينصرف الظل)

(إظلام)

اللوحة الثانية

(عند إحدى الجمعيات التعاونية، حيث توجد سيارات عدة، ونرى مخبزا، ومحلا لبيع الخضروات، ونشاهد زهيرا يقف في ركن شبه مظلم، بالقرب من بعض السيارات المرتكنة، وقد ظهر عليه الإجهاد، وملابسه متسخة ومكرمشة ويكون حديثه طلقا، يختار كلماته بعناية تناسب شخصا متعلما صاحب قضية)

زهير (مشيرا لبعض المارة):

أنتَ يا أخي، هل تسمح لي؟ أريدك في أمر.

أنتِ يا أختي، ممكن أن...

(لا أحد يلتفت إليه،فالكل مشغول بما يحمل من أغراض)

زهير (مواصلا الإشارة):

لماذا لا تستمعون لي؟ أنا إنسان مثلكم، لي حقوق عليكم، ليس من المهم أن أكون مواطنا معي جنسية في بلدكم، لأننا جميعا شركاء في الهواء والأرض.

(يتوقف البعض منتبها، وتبدو ظلالهم في الضوء، ونلمح فيهم رجالا ونساء)

أنا مولود على هذه الأرض، في هذا الوطن، الفرق بيني وبينكم أنكم تحملون جنسية هذا الوطن وأنا لا، أنتم تتمتعون بجواز السفر والهوية المدنية وأنا لا، لكم أرقام تميزكم، وتحصلون بها على حق العمل والسكن وإعانات البطالة وأنا لا، تربيتم في مدارس الوطن، وتتعالجون في مستشفياته وأنا لا.

(يسمع بأسى شديد، والدموع تطفر من عينيه)

تسألني عن مكان مولدي. حسنا، أنا مولود على هذه الأرض،

أسرتي هاجرت منذ سنين إلى هذا البلد، عاشوا، وعملوا، وتمتعوا بخيرات البلد، ولكن القوانين الجائرة، ميّزت بيني وبينكم..

(يبكي، وهو ينظر إلى المارة المتوقفين)

كل مشكلتي تتمثل في كلمة واحدة، أبي وأمي جاهلان، لم يعرفا أهمية الحصول على جنسية هذا الوطن، قدم أبي من بلده، البعيد خلف البحار، كان يطمح في جمع مبلغ من المال، يتزوج به، وجمعه، وتزوج أمي، وجاءت معه إلى هنا.

(يتهدج صوته، ويجفف دمعاته)

وولدت أنا وإخوتي على هذه الأرض، مرت سنون وسنون، لم يستطع أبي العودة إلى الوطن، كثر أولاده، ولم يهتم بالإجراءات التي تجعله يحصل على الجنسية... ثم كانت المصيبة الكبرى.

ضاع جواز سفره، ولم يكن مسجلا في سفارة بلده الأصلية، ولم يهتم هو بذلك، كنا نأكل ونشرب ونتعلم في المدارس حتى المرحلة الثانوية...، عندما كانت الدولة ترحب بالمهاجرين، وعندما كثروا، وباتوا عبئا عليها، راحوا يطالبوننا بالرحيل...

كيف نرحل عن هذه الأرض؟! لم أر بلد أبي الأصلية، إنها مجرد شذرات علقت في أعماقي من كلمات أبي وأمي عنها، ومات والداي، وهاجر أخي عندما سدت أمامه كل الأبواب، لا عمل، لا جنسية، لا أمل، قدّم أوراقه إلى مصلحة الجوازات هنا، وحصل على جواز السفرة الواحدة، وهاجر بعيدا، إلى كندا، هل سيبدأ معاناة جديدة مثل أبي؟ أختي تزوجت، وحصلت على جنسية زوجها، وغادرت معه إلى استراليا، وبقيت أنا...، أنا.، وحيد، ضائع.

(بكاؤه عالي الصوت، وينصت لسؤال لأحد السامعين)

لماذا لا أعمل؟
وأين العمل؟ إنني بدون بطاقة مدنية، أي لا رقم مدني عندي، هذا الرجل المقدس، الذي يجعل الواحد فيكم ينال حقوق الآدميين، أما أنا فلا أحمل إلا شهادة ميلاد، ميلادي على هذه الأرض، هذا ما عندي، ولا غير، ومعي أوراق تثبت أنني تعلمت هنا، هنا، هنا... هذا ما عندي.

(يوجه كلامه بحدة إليهم)

انظروا ماذا فعلتم فيّ؟ أنا أتهمكم كلكم، أنتم سبب جوعي، وتشردي في الشوارع، تحملون أكياسا مملوءة بالأطعمة، تأكلون بعضها، وترمون أكثرها في القمامة. وعليّ، أنا، أن أفتش في القمامة، لألتقط طعامي، يشاركني في ذلك: القطط، والكلاب، وبعض فاقدي الجنسية مثلي، وبعض العمال الآسيويين الذين اشتروا وهم الهجرة إلى الجنة هنا، وسرعان ما وجدوا الجنة جحيما.

(يمد كفيه، ودموعه سائلة)

أريد أن أشتري طعاما نظيفا، وثيابا نظيفة، أريد أن أحمل أكياسا بلاستيكية ملونة بغير اللون الأسود، لقد سئمت أكياس القمامة السوداء التي أمزقها في الصباح الباكر، كي أحصل منها على فتات.. وقبل أن تأتي سيارة القمامة، وتفرغ الصناديق الحديدية المكتظة في مؤخرتها.

(تتحرك بعض الأرجل مبتعدة، وتمتد أيدي أخرى له بالمال، يتناول المال منها، ويضعه في جيبه)

أخي مغترب في كندا، وأنا مغترب هنا، وأختي مغتربة في أستراليا. كان أبي يقول أواخر أيامه: محكوم بالشقاء عليّ وعليكم، وكنّا في

بداية شبابنا، نرى الدنيا بأعين الحب، المستقبل يتلألأ أنوارا وسيارات وشققا فخمة. صدقتَ يا أبي، عشت في كوخ مصنوع من حديد "الشينكو" الذي يكوينا بسخونته صيفا، وتلهب ظهورنا برودتُه شتاء.

(يضحك عاليا، بعدما سمع تعليقا من أحدهم)

حقا، لست أنا الوحيد فاقد الجنسية، هناك آلاف مؤلفة، كانوا يسكنون معنا في بيوت الشينكو، هناك على أطراف العاصمة، هم الآن يعملون في أبراج العاصمة الزجاجية المتلألئة بالمصابيح، ولكنهم يعملون خدما، وحراسا، يخدمون من تربّوا معه على هذه الأرض ؛ شاركوه الطعام والتعليم والمرض، وافترقوا عنه، هو يأمرهم، وهم يطيعونه.

(يحتد صارخا)

أنا غير هؤلاء، هم لا زالوا يعيشون في أكواخ، راضين بمعيشتهم تلك، رغم أن الحكومة هدمت أحياء الأكواخ حول العاصمة، ولكن هؤلاء الخدم، ذهبوا بعيدا، وصنعوا أكواخا أخرى، وتزوجوا أخوات بعضهم، ليتناسلوا أطفالا تعساء. أما أنا فغيرهم، أنا أريد أن أعيش كريما، لذا رفضت أن أبني كوخا جديدا، وأعيش في حي من الصفيح، مع الفئران، ومياه المجاري التي حفرت قنوات وسط الأكواخ، أريد أن أحيا مثلكم، ولو للحظات، أرجوكم ساعدوني، ساعدوني...

(يشهق بالبكاء، ثم تمتد بعض الأيدي بالمال له، ويظلم المسرح تدريجيا).

اللوحة الثالثة

(في أحد المجمعات التجارية الحديثة (المول)، حيث أنوار المحلات متلألئة، ونرى لافتات دعاية لأفلام سينمائية، ومحلات بيع ملابس الكاجوال، ومقاهي الإنترنت وزهير يقف في ركن قصي جانب أحد المحال التي تبيع مستلزمات الهواتف النقالة، بثياب مختلفة، متوسطة القدم، وتبدو في الإضاءة وجود بعض المتجمعين حوله من رجال ونساء)

(زهير بوجه نادم ولسان متعثر، وتبدو الكلمات مكسرة في النطق، مع خجل ظاهر، يوحي أنه شخص لا يجيد فن الحديث، بقدر ما يريد أن يفرغ ما في صدره من هموم)

(زهير متجه بوجهه نحو الناس المتجمعين):

أنتم تسألون عن قصتي، سأحكيها لكم، إنها قصة يمكن أن تحدث لأي منكم أو منكن، تعلّموا مني، أنا مثال واضح أمامكم، على الفشل والخيبة والاستغلال، وقد انتهى المطاف بي إلى النوم في مكان لا أستطيع أن أنتصب فيه واقفا، ولا حتى الجلوس قاعدا.

بحق الله وحده، أدعوكم لتشاهدوا هذا المكان الذي أنام فيه، ليس سردابا في منزل، ولا غرفة أسفل السلالم، ولا غرفة حارس في مبنى أو سائق في منزل، فهذه الأمكنة مطمح لي، وودي أن أعيش فيها، إنها حلم بالنسبة إليّ الآن.

(يتنشج بدمع متساقط، ويقلب عينيه في الوجوه حوله)

إنني أعيش في إحدى مواسير مياه الصرف الصحي الكبيرة، والماسورة فوق الأرض، أخاف يوما أن أستيقظ وأجد نفسي

محمولا أنا وهي، على رافعة كبيرة، وتهبط بي إلى باطن الأرض، ثم أجد مياه المجاري تغرقني.
آه، آه ، ما أبشع هذا!
لقد كنت أعيش في شقة فاخرة، غرفتين وصالة كبيرة، في بناية بها مصعد، وكنت أركب سيارة فاخرة، وآكل في المطاعم، والآن، أنا كما ترون.
(يتوقف منصتا، لأسئلة عدة، ثم ينطلق متحدثا بسرعة)
لا، لست غبيا، ولكنني ضحية الاستغلال، من أقرب الأصدقاء لي.
أنا من أسرة مفككة، أبي وأمي منفصلان، منذ زمن بعيد، وعشت مع جدي وزوجته الثانية، رعاني حتى أنهيت تعليمي الجامعي، ثم ساعدني أبي وجدي بنفوذهما وعينت محاسبا في أحد البنوك، نعم، في البنك الوطني للتنمية، واسألوا من في البنك عن اسمي، سأعطيكم اسمي كاملا لمن أراد التأكد. كان راتبي كبيرا، سعت زوجة جدي إلى طردي، فقد أرادت أن تزوجني من ابنتها المطلقة، الابنة تكبرني سنا، فرفضتُ، وقررت أن أترك المنزل، وأعيش بعيدا عنها، وكنت أزور جدي من آن لآخر، وأزور أبي، عشت في سعادة بمفردي، شقة وسيارة وراتب جيد، ولكنني كنت أقاسي الوحدة..
(يتمشى قليلا، وهم يتنسم هواء التكييف النابع من عمق المول التجاري، بينما تزداد الرؤوس حوله، ونسمع أصوات مصمصة الشفاه، يكمل زهير، والبكاء يحبس كلماته)
نعم، كنت أعيش وحيدا، لا صديق لي، فقد رباني جدي وجدتي منذ طفولتي على أن ألعب وحدي، وكانا يحذراني من عيال الشارع، وكنت لا أختلط بزملائي في المدرسة، كان جدي يوهمني

أنهم يصادقونني من أجل عائلتي الكبيرة وأموالها، فلم أتعلم فن الكلام، ولا تكوين الصداقات، وعشت في صحبة خدم جدي، ولا تسألوني عن أبي، إنه مشغول بزوجته الثانية الجميلة، يبدد كل ماله على طلباتها التي لا تنقطع: سفر للخارج، أفخم الثياب، دفع مصاريف المدارس الأجنبية لأولاده منها، أما أنا، فلي الله، وجدي وجدتي.

(يبكي، بحرقة، ويواصل)

وأنا في الخامسة عشرة من عمري، ماتت جدتي، الحبيبة، الطيبة، وعشت شهورا مع جدي في رعاية الخدم، وسرعان ما تزوج جدي من زوجته الحالية، وهي مزواجة، وكبيرة في السن، تحملتها كثيرا، كانت تسبني، وتعايرني بأن أبي وأمي لا يحباني، ولا أحد يرغب في، كرهتها، وكرهت الناس، وفي نفس الوقت، ودي أن أصاحب وأصادق الشباب.

تخيلوا... أنني لم ألعب طيلة عمري مع أقران لي، لا في البيت ولا الشارع، ولا حتى في المدرسة، كنت أرتكن للحائط في حصة التربية البدنية، أشاهد زملائي وهم يلعبون، ويضحكون، ويجرون، وأنا ثابت مكاني، فسموني الصنم، وأبا الهول. وحينما كنت أتكلم معهم، كانوا يسخرون من طريقتي في الكلام، ويقولون: أنت أبله، عبيط..

وظل الحال معي في الجامعة، أذهب بمفردي، وأعود بمفردي، وآكل بمفردي، وأتنزه في الحدائق بمفردي، وأذاكر بمفردي...

كنت أشتكي لجدي، فكان يضحك، ويقول لي: أنت أحسن منهم كلهم، وغدًا سيسعون للتعرف بك، ومصاحبتك..

وعندما أقابل أبي أحكي له، راغبا أن يعلمني، ولكنه كان يستمع

لي وكأنه لا يستمع، وعندما يحادثني كأنه في عالم آخر، مع زوجته، وعياله منها.

(نشيجه، الذي يتحول إلى بكاء عالي الصوت، يحاول أن يهدأ، ويصرخ قائلا)

ها أنا أمامكم، هل أنا أبله؟ أنا مثلكم، بل أحسن منكم..

(يصمت، ويقول بعزم)

أول ما عملت في البنك، قررت أن يكون لي أصدقاء، سعيت لزملائي في البنك، ولكنهم نأوا عني، كانوا لا يحبونني، وودي أن أحبهم، وكذلك الحال مع الفتيات، كن ينظرن لي شذرا، رغم أنني كنت أحكي لهن عن عملي، وتعليمي في الجامعة، فكن يبتعدن، يبتعدن...

ظللت هكذا، أعاني، وأعاني، الكل بعيد عني، وكنت أسمع همسات الموظفين في البنك عن خيبتي وسذاجتي، وبعضهم يردد: الموظف العبيط، وبعضهم تجرأ عليّ، فتعاركت معه، وضربته بقسوة أمام الموظفين والزبائن، وتحول الأمر لقضية، وكدت أُفَصل من البنك، لولا تدخل أقاربي..

ظللت بهذا الشكل... الوحدة، الفراغ، حتى قابلته..

(يضحك بعصبية، ويقهقه)

قابلت "عماد"، شاب وسيم، هو تعرف بي، كنت في النادي أجلس وحيدا، أنظر لشلل الأصدقاء، والشباب والفتيات، ولم أنتبه إلا على صوته، يجلس أمامي، يعرفني بنفسه، ويسألني عن سبب جلوسي وحيدا، تلعثمت في الكلام، واضطربت.. وتصببت عرقا، ولكنه ضحك، وبدأ يحكي بتلقائية، عن عمله، فأخبرني أنه يعمل موظفا في البلدية، الشؤون البلدية.. هكذا أخبرني، وفي الحقيقة

أنا لا أعلم أين يعمل بالتحديد..

(يبتسم، وينظر لملابسه)

عماد كان مفاجأة في حياتي، شاب جذاب، يجيد الحديث، بات يخرج معي يوميا، نقضي الساعات الطويلة، نتغذى ونتعشى سويا..

(يصمت، ثم يضحك)

على حسابي طبعا، كنت أقابله في أحد الشوارع، فأنزل من سيارتي، ويتولى هو قيادتها، يوصلني للبنك، ثم يركب السيارة إلى عمله، ويعود في الظهيرة ليعيدني إلى البيت لنتغذى سويا، وبمرور الوقت، بات يقيم معي في الشقة إقامة كاملة، كنت فرحا به، عرفني على بعض الفتيات، وكنت أنفق ببذخ، من المال الذي ادخرته.

كنت أحكي معه عن مشاكلي، مع الناس وفي العمل، كان يبتسم، ويقول لي سأحلّها كلها، سأجعل الشباب يجرون لمصاحبتك، والبنات تتلهف للكلام معك، علمني كيف ألبس ملابس الكاجوال، وكيف أقص شعري على أحدث الموضات، وأتعطر بالروائح الفخمة، وعلمني كيف أتكلم، ومتى أسكت، تغيرت شخصيتي، وأحببت الحياة، ووجدت شبابا من طرفه يصادقونني ويسهرون عندي في الشقة.

وظل معي، يوما بعد يوم، ثم أخبرني أن أمه في البلد، تمر بأزمة صحية، وفي حاجة لعملية جراحية سريعة، فأخبرته أن لا مال عندي، فقال يمكنني أن أحصل على قرض من البنك، ويخصم أقساطا من راتبي..، فلما سألته عن سبب عدم اقتراضه هو، وجدته يغضب ويتهمني بالخيانة، وأنني لست بصديق، وأخبرني

أنه ينفق راتبه على أسرته وإخوته وأخواته. فسارعت للاقتراض، وأعطيته المبلغ، ثم تتابعت طلباته، في السهر، والإنفاق، وتراكمت القروض علي، وبعت سيارتي، حتى وجدت نفسي في آخر المطاف، أبيع أثاث شقتي وأكتفي بفراش وكراسٍ معدودة، ولا أحصل من راتبي إلا على تراب النقود... والباقي يذهب للديون وفوائدها.

وكانت المصيبة الكبيرة، إدماني الخمر، فحرضني صاحبي على الاختلاس من عهدتي في البنك، بدأت بمبالغ قليلة، وسرعان، ما اختلست مبلغا كبيرا، وعرفوا أمري، وكان مصيري الطرد من الخدمة، حرصا على سمعة أبي وجدي وعائلتي الكبيرة...

وها أنا الآن في الشارع.. لا عمل لي، لا راتب، الديون تطاردني، أما أصحابي فقد تفرقوا عني.

(باستعطاف)

أرجوكم، ساعدوني، أريد مكانا أنام فيه، أريد أن آكل، أريد أن أنصب قامتي في مكان نومي...

ساعدوني...

(تمتد الأيدي له بالمال، ويمدّ يده على استحياء، ويظلم المسرح تدريجيا).

اللوحة الرابعة

(في حارة شعبية بسيطة، بيوت من طابق واحد، ونسمع جلبة الشارع وأصوات مختلفة: رجال ونساء وأطفال، ونشاهد "زهيرا" وهو يرتدي ثيابا رثة، ويظهر عليه صفرة الوجه، وهناك هالات سوداء حول عينيه، ويقف مستندا إلى عكاز غير واضح للوهلة الأولى، وتبدو قدمه مقطوعة ويتحدث بصوت متقطع النبرات)

(زهير متجه نحو الناس ويبدو في الظلال رؤوس أطفال ونسوة ورجال)

جئتكم يا أهل الخير، يا أيها الطيبون، ساعدوني، ساعدوا أخاكم المسكين، أنا لا أسعى لنفسي، أبدا والله، في رقبتي أكوام لحم.

(أصوات متداخلة ومتسائلة)

تسألونني: لماذا لا أعمل؟

حسنا سأجيبكم، ولكن أستحلفكم بالله أن تصدقوني، فقد تعبت قدماي من الوقوف طوال اليوم، واشتعلت رأسي تحت وهج الشمس، أستحلفكم ألا تردوني خائبا، فالأفواه الجائعة تنتظرني، وأعيش شقاء لا حد له.

أنا لا أعمل لأنني...، انظروا، لأنني معاق، بدون قدم، قدمي قطعت، صدمتني سيارة، وأراد صاحبها الهروب، فداسَ على ساقي، ليفتت عظامها، ثم هرب، وتركني، أصرخ وسط الشارع، وأنا أرى قدمي وساقي كومة من اللحم والدم والعظم المهشم.

صوت: اذهب للشؤون الاجتماعية، فهي تساعد المعاقين، وتشغلّهم.

زهير: ههه، أنتم تعلمون حكومة بلادنا، ذهبت بالفعل للشؤون الاجتماعية بعدما نصحني جار لنا، فطلبوا مني ما يثبت أنني معاق، فقلت لهم: انظروا لرجلي، ضحكوا وقالوا: نريد شهادة من وزارة الصحة تثبت أنك معاق. ذهبت لوزارة الصحة، فطلبوا مني أن أحضر تقريرا من المستشفى الحكومي الذي عالجني، ذهبت للمستشفى، فقالوا لي: هذا من زمن بعيد، والسجلات تلفت مع تسرب مياه المجاري لها. وصرت ضائعا، ولا أستطيع أن أفعل شيئا، لا مهنة ولا حرفة.

(يبكي بحرقة، ثم يستأنف حديثه)

مشكلتي ليست فيّ، أستطيع أن أتحمل الجوع، والبرد، ولكن أخواتي وأبنائهن من يساعدهم؟ لي أربع أخوات، اثنتان تعيشان معنا في بيتنا..

نفس الصوت يقاطعه: ألكم بيت وتشحذون؟

زهير (بأسى): نعم لنا بيت، ولكنه من بيوت صفيح الشينكو، وأخشاب القمامة، يقع على أطراف البلد، بنيناه من الشينكو، المتبقي من بناء أبراج البلد، وببعض الطابوق الطيني والخشب، ونعيش فيه، بدون ماء، ولا مجاري، فأنتم أفضل منا، لديكم ماء وكهرباء ومجاري، وحب بينكم.

أسرتي مكونة من أربع أخوات، وأنا أخوهم الوحيد، وأبي يعيش معنا، أمي ماتت منذ سنوات لأننا لم نجد ثمن الدواء، ماتت بالأنفلونزا، ليست أنفلونزا الطيور، بل الأنفلونزا العادية، التي تمكنت من جسد أمي، وأفسدت صدرها وكتمت أنفها فماتت بين أذرعتنا، ونحن غير قادرين على شراء الدواء لها.

(يبكي مرددا: آه يا أمي، يا أمي)

أسوأ شيء، أن ترى أحب الناس إليك يموت، بين يديك، وأنت غير قادر على إنقاذه، يموت وتعلم أن سبب موته قليل من المال، أقل من ثمن وجبة غذاء فاخرة لواحد من أغنياء بلدنا، وحسبي الله ونعم الوكيل.

عشنا في بيتنا، ومعنا أبي، الذي لا يهمه من الدنيا إلا أن يأكل وينام، ويخرج يعاكس النساء، ويأتي ببعضهن في البيت، ويقول لنا إنها زوجته الجديدة، ويطالبنا أن نسدل الستار عليهما...

هذا أب لا يحترم بناته ولا ابنه الذي لا يأكل وجبة واحدة في يومه، بينما تنام بناته على الأرض.

تسألون عن أخواتي البنات، هل أتركهن للدعارة؟ أم أتركهن يبعن أعضاء أجسادهن ليطعمن أبناءهن؟ هذا لن يحدث والله.

(يحكي ببكاء)

تزوجت اثنتان من أخواتي، وبقيت اثنتان، كبرى المتزوجات تركها زوجها وهاجر للعراق، منذ سنوات، منذ الحرب بين العراق وإيران، ولم يعد، ولم نسمع عنه شيئا، كل ما سمعناه أنه قتل في الحرب، وهناك من قالوا إنه خرج من العراق إلى تركيا، ترك لنا ثلاثة أطفال، ينامون مع أمهم على الأرض. أما أختي الثانية المتزوجة، فهي مطلقة، بعدما أجبرها أبي على الزواج من صديقه العجوز حتى ينفق عليه في جلسات الحشيش، أنجبت منه طفلين، ثم مات، لتعود إلى بيتنا...

(يعلو نشيجه)

أما أختاي الأخريين، فهما في المنزل، لا تستطيعان الخروج واحدة ضريرة، والأخرى متخلفة عقليا، خطفها لصوص، واغتصبوها في بطن الجبل، وعادت تضحك، وثيابها ملطخة بالدم، ماذا نفعل

معها؟ أنقتلها أم نتركها؟ وفي الحالتين لا ذنب لها.
ساعدوني، يا إخوتي..، يا أخواتي...
أنا المسكين المعاق، ساعدوا كوم اللحم المعلق بي.

(ينصرف عنه البعض، وتمتد أيدٍ له، يتناول المال، وهو يكفكف دمعه، ويكتم نشيجه، ويظلم المسرح)

اللوحة الخامسة

(أمام إحدى المصالح الحكومية، سيارات واقفة أمامها، وتبدو السجلات المحفوظة في شرفات المصلحة، يعلوها التراب، يقف زهير وحوله مجموعة من الموظفين المتسربين من الدوام، وبعض الناس المراجعين للمصلحة، زهير يتحدث بلكنة عراقية، ويرتدي ثيابا ليست بجديدة ويبدو أكبر من سنه)

زهير مستجديا بإباء:

كيف حالكم يا إخواني؟

أخوكم إياد، من العراق، هل نسيتم العراق؟

يبدو أن الانفجارات والقتل والاحتلال الأمريكي أنسوكم عراق العُرب، نحن العراقيين، حراس البوابة الشرقية للأمة العربية، نحن أصحاب الحضارة الإسلامية، ومن قبلها الأشورية والكلدانية والبابلية، بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية. وظلت العاصمة الأولى في العالم، أيام عز المسلمين والعرب.

ها أنا، جئت بلدكم، أنا وعائلتي، زوجتي وثلاث من البنات، فررنا من القتل اليومي، التفجيرات التي تذيب الشوارع، وتجعلنا نرى الأشلاء متطايرة، ضاقت الدنيا أمامنا، فقررنا أن نخرج من بغداد، التي عشت وتنعمت بخيراتها، أنا وأبي وجدي، فأنا من عائلة بغدادية عريقة، كنت أسكن شارع هارون الرشيد الذي يشق العاصمة، مارا بأفخم أحيائها.

صوت: لماذا لم تذهبوا إلى مكان آخر في العراق بعيدا عن بغداد؟

زهير (بأسى شديد وكأنه لم يستمع للسؤال):

لم أكن في يوم من الأيام أتوقع أن أترك بغداد، عشنا فيها عندما

تساقطت الصواريخ الإيرانية عليها، واحترقنا بلهيب الطائرات الإيرانية، حتى سعدنا، ونحن نسمع الخميني يقول: أحتسي السم ولا أقبل إيقاف الحرب، وها أنا أقبل وقف إطلاق النار. رقصنا في الشوارع يومها، لقد وقفت حرب استمرت عقدا، ووقف النزف الذي أخذ أخي الوحيد، وأمات أبي وأمي بحسرتهما عليه، ساعتها تخيلت أن الدنيا ابتسمت لنا، أنا وزوجتي وابني وبناتي. ثم عشنا أهوال حرب أمريكا علينا، تسمونها أنتم حرب تحرير الكويت، ويسمونها في أمريكا حرب عاصفة الصحراء، ونسميها نحن كما علّمنا "صدام حسين": أم المعارك، اعتدنا أن نردد ما يقوله إعلامنا، وعندما انتهت حرب العاصفة، وجدنا أنفسنا بلا دواء ولا حليب ولا معدات، وجدنا أنفسنا نتقهقر للخلف، نعود لأوائل القرن العشرين.

لا تستغربوا، فقد عشت العراق في كل محنه، أحببت أحمد حسن البكر عندما كان الإعلام يتغنى به، فلما تولى صدام، وتناوبت الصحف في وصف مساوئ البكر، كرهنا البكر، وأحببنا صدام، أحببناه حبا غصبا عن قلوبنا، ندعو له، وقلوبنا لا تعرف معنى الدعاء، ولا ترى أثره، ومع ذلك، عندما شنق صدام في صبيحة عيد الأضحى، بكيت عليه بكاء شديدا، أحسست أنه كان رمزا في زمن افتقدنا فيه الرموز.

(يواصل دون أن ينظر للمستمعين له وكأنه يناجي نفسه)

عندما سقط العراق، وجدنا أسماء جديدة تطل علينا، في المنطقة الخضراء ببغداد، أسماء عاشت في أمريكا، تتكلم الإنجليزية أفضل من العراقية، وتتحدث عن حقوق الإنسان، وعن الحرية والديمقراطية..

كنا نحن العراقيين نهزأ مما نسمع، لأننا نعرف ما يجري على الأرض، ليست مسألة سقوط تمثال، إنها مسألة طعام وشراب وكهرباء ومواصلات، نحن نكتوي بالنقص، وهم يرفّلون في النعيم، ينهبون نفطنا، ونحن نصطف أمام محطات النفط بالساعات.

(ينظر لهم)

صدقوني، أنا من أعرق عائلات بغداد، أبي كان تاجرا، ورث التجارة أبا عن جد، نحن عائلة العطار، أعلم أن هذا اللقب موجود في كل مدينة عربية، ولكننا العائلة الوحيدة في بغداد التي تحمل هذا اللقب، فنحن أرباب العطارة، منذ القدم، وبعض أبناء العائلة يرجعون هذه المهنة إلى زمن أبي جعفر المنصور.

وأنا عملت محاميا، وحافظت على دكان أبي، وهذا ما جعلني أتحمل كل ما جرى، وتماسكت أنا وأولادي طيلة سقوط بغداد، وحتى بعد سقوطها، ونحن نشاهد الأمريكان يجوبون شوارعها، كنا نعلم أن الخيانة حدثت، ولكن كتمنا ما في صدورنا، وفضلنا الصمت، وهذا حيلتنا.

صوت: لماذا خرجت إذن؟

إياد (بهدوء):

خرجت لأن الكره بات بيننا، انقسمنا إلى كانتونات: للشيعة والسنة والأكراد، وعندما يكون البأس بيننا، فقد ضاع وطننا. الوطن تعايش، فإذا لفظنا بعضنا، فليسعنا وطن آخر.

صوت: خرجتم محملين بالمال، فلماذا تتسول؟

إياد (باستنكار):

أي مال!؟ لقد بعت بيتي، ودكان أبي، وسيارتي، وكل شيء، بعتها بربع قيمتها، ومعظم ما أخذته من مال، كان رشوة لمن أخرجنا من أرض العراق.
ألا تصدقونني؟
تعالوا معي إلى بيتنا، هنا، وانظروا كيف نعيش، وماذا نأكل، أنا المحامي، سليل أعرق عائلات بغداد، عائلة العطار، أعيش أنا وزوجتي وبناتي في غرفة واحدة، طعامنا واحد، خبز فقط.
جئت إليكم، أريد أن أشعر بالحياة، أشعر أنني عربي مثلكم، هل تقبلون أن أكون واحدا منكم، لقد ضاع وطني، فأردت أن يكون لي وطن آخر، في بلد عربي آخر، فاخترت بلدكم.
طبعا، ستسألوني، لماذا لا أعمل؟
هذا السؤال الذي يتكرر على شفة كل من أشتكي له.
أنا لا أعمل لأنني لا أملك هذا الحق هنا، لا يمكنني أن أتقدم لوظيفة، وأي مهنة، لأنني لا أملك إلا جواز سفري، وممنوع عمل الأجانب هنا إلا بإذن عمل، وهناك منع خاص للعراقيين من العمل، شكرا للحكومة الرشيدة هنا، منعونا من العمل، وتركونا للضياع، يسمحون لكل الجنسيات في العالم باستخراج أذون عمل إلا نحن، والسبب في ذلك: حتى لا نستوطن هذا البلد. وما المشكلة لو عشنا معكم، الرزاق واحد، وهو في السماء، وينزل الرزق من السماء إلى الأرض، الأرض التي نتنازع على الرزق فيها.
صوت: لم تحدثنا عن ابنك، أين هو؟
ابني، آه، آه، لقد بقي هناك. تمسك ببغداد على أمل، مشكلة ابني أنه لا يزال شابا صغيرا، يرى المستقبل في وطنه، يبدأ بعمره

هو، بتاريخه هو، ولو أضاف لنفسه عمري وتاريخي وتجربتي، لصار شيخا هَرِما، ولكنه أصم أذنيه عن كلامي، وكلام أمه، وراح يتمسك بأرض لا تطيق أبناءها.

(يتوجه لهم كأنه يقرأ التاريخ)

ابني ورث جينات العائلة، جينات التمسك بالأرض مهما كانت، وأنا قاومت جيناتي، وأدميت قلبي، أما هو فلا يزال متيما ببغداد، وأسواقها، وصفحة نهر دجلة، وعبير الفرات.

(تدمع عيناه)

أرجوكم، ساعدوني، حتى أشعر أنني واحد منكم، ساعدوني حتى أكون منتميا لأرضكم، ساعدوني، حتى أعود وأقضي يوما سعيدا مع زوجتي وبناتي.

صوت: وكيف وصلت إلى هنا؟

إياد (بحنق وضيق):

أنت تسأل وكأنك تشكك في، وفيما أقول، لقد ذهبت إلى سورية أولا، وهناك وجدت عشرات الآلاف من العراقيين، مستعدون للعمل في أي شيء. لم أستطع البقاء، فقد رأيت رئيسة جامعة بغداد، تمسح السلالم، حتى تعيل بناتها، وتمنعهن من السقوط.. وفي الأردن، رأيت العراقيات يفترشن الطرقات، يبعن السجائر والحلوى، وينامن في الشوارع، وأنتم تعلمون ما في الشوارع، ومعنى أن تنام امرأة في الشارع...، وهذا ما لا أقبله على بناتي وزوجتي.

تركت الأردن، وجئت هنا، وكلي أمل فيكم، لعل الله يجعلكم سببا في رزقي، أرجوكم ساعدوني، ولا تتركوني أكره ذاتي، وأكره كل أرض تنطق العربية.

(يبكي، يبكي، ويعلو نشيجه، فيما تمتد الأيدي بالمال، كل الأيدي، فيما يظل هناك وجه يراقبه بتمعن، ويدوّن بعضا من الكلـمات في دفتر بيده، ثم إظلام).

مونودراما:

شعرة من صخب

(صالة منزل فسيحة، فيها أثاث منسق بشكل فني، نرى في المنتصف "أنتريه" ذا زخارف إسلامية، ووسائد مريحة، وفي الخلف مكتبة مكتظة بالكتب وبالمجلدات والمجلات القديمة، وفي الركن الأيمن: أريكة طويلة للقراءة يضطجع فيها القارئ بشكل مريح، وفي الركن الأيسر تلفاز قديم، وعلى الحائط تتزاحم صور كثيرة، متعددة، للقطات من أفلام سينمائية، يظهر فيها وجه بطلنا في مراحل متعددة من عمره، في شبابه حيث نشاهد وجهه صافيا، وشعره لامعا، في لقطات من أفلام "أبيض وأسود"، ثم وجهه وقد زحفت التجاعيد عليه، وخط الشيب رأسه ببطء، في لقطات ملونة من أفلام ومسرحيات. هذا هو البطل "رمزي زكي"،وقد تخطى السبعين من العمر، بتجاعيد قليلة في الوجه مع آثار لعمليات تجميل وشدّ، وشعر مصفف بعناية، مصبوغ حديثا، بلمعة زاهية، يرتدي "روب دي شامبر" صناعة أوروبية، وتحته بيجامة حريرية. يضطجع على أريكة القراءة، ممسكا بمجلة فنية تعود إلى فترة الستينيات، يقرأ ما فيها، ثم يعلّق..)

رمزي: دور مميز أداه الفنان "رمزي زكي" في فيلمه الأخير "قسوة الأيام"، فقد أجاد في دور الأب، وكان علامة مميزة، ونجح في تقديم دور العصامي المتسلق.. (**يتوقف عن القراءة، ثم ينهض، وكأنه يخاطب زوجته، متقمصا دور محمود حنفي في الفيلم)**

الحمد لله يا "عديلة"، ربنا أكرمني وعيّنني سعادة الوكيل "عثمان بك" في مكتبة مدرسة "صلاح الدين الثانوية"، تعينت أمين مكتبة. (**براحة**) رحت اليوم، وتسلمت الشغل الجديد، وقابلت المدير. فعلا يا عديلة، المكتبة عالم ثان، طول عمري أحب الكتب،

وودي أن أحيا وسطها. (**ينظر لها متفحصا**) أنا أفهم نظرتك يا عديلة، فعلا، عثمان بك أخذ المقابل مني، سنتان وأنا أكتب له المقالات في الجريدة، وينشرها باسمه، هههههههه. صدّقتُ كلامه في البداية (**يغير صوته مقلدا عثمان بك بصوته الأجش**): الكاتب الحقيقي يا محمود.. الكاتب الصادق؛ هدفه أن تصل أفكاره لكل الناس، سواء كانت باسمه أو باسم غيره. (**يضحك ساخرا ويواصل مقلدا عثمان بك**): هذا سر بيننا يا محمود، وسأكافئك عليه مكافأة سخية. (**يعود لصوت محمود حنفي مع ضعف في النبرة**): أنا تحت أمرك يا سعادة الوكيل، المهم رضاك عنّا. (**يواصل**) سنتان يا عديلة وأنا أقرأ مقالاتي في جرائد: المقطم، والنيل، والغد، وأسمع ثناء الناس عليها، وعلى عثمان بك، وكيل وزارة المعارف العمومية، ذي القلم البديع، والأفكار التقدمية، المحاربة للجهل والظلام وثقافة العصور الوسطى، والشهادة لله يا "عديلة"، عثمان بك كان رجلا ماهرا، ينتقي أكبر الجرائد في البلد، وينشر فيها، والشهادة لله أيضا، كان يعطيني مكافآت المقالات، ويقول لي: هذا حقك يا محمود، أنا أخذت حقي في إشادة الناس بي. بعت جهدي وأفكاري يا عديلة، مقابل أربعة أو خمسة جنيهات في الشهر (**يضحك**) لأول مرة يا عديلة أعرف ثمن القراءة والكتابة، هل تذكرين كلامك زمان، وأنت تقولين، اسرح يا محمود مع العمال في ميدان السيدة زينب وارمِ الكتاب، هل سنطعم الولدين ورقا؟

صوت عديلة: صحيح يا محمود يا ابن عمي، والمكافأة الكبيرة، أن عثمان بك عيّنك في وظيفة حكومية، وصرت مستخدما براتب كل شهر في أمان.

محمود (بحنق): كان الثمن غاليا، عملت رسالة ماجستير لولي النعمة، وأخذني إلى دكتور صديقه في الجامعة، علّمني الطريقة، وقال لي بعدها **(يرفع صوته مقلدا عثمان بك)**: ماشاء الله عليك يا محمود، الدكتور حشمت يقول عنك: إنك أحسن من الأستاذ في الجامعة...، أريدك أن تكون معه، وتساعدني في رسالتي للماجستير، ومكافأتك كبيرة... جدا، ستكون موظفا بالحكومة، وستظل معي حتى تساعدني في الدكتوراه أيضا.

(يتوقف رمزي مستذكرا موقفا، ثم يضحك بخيلاء)

آه، لن أنسى هذا اليوم، الذي اقتحم عليّ - إنسان نكرة - هنا، مساعد مخرج شاب، يطرق باب شقتي، ويريد مقابلتي، يخبره الولد "علوان" الخادم أنني في خلوتي، لم يفهم الشاب "الحمار" معنى خلوة "رمزي زكي"، الممثل الكبير، فألحّ في الطلب، وتطاول على "علوان"، خرجتُ إليه من غرفة نومي، وبنظرة واحدة مني ثم لكمة في وجهه، جعلتُه يجثو على ركبتيه، وهو يقول بصوت مرتعد **(يقلد صوت الشاب بنبرة مترددة خائفة)**: أيها الفنان العظيم، لقد أرسلني المخرج لأخبرك بتقديم موعد تصوير فيلم "الغادة الحسناء" غدا من الساعة الحادية عشرة، إلى الساعة التاسعة صباحا، وأنت لا ترد على هاتف المنزل، منذ ساعات.

(يواصل) حتى لو كان هذا السبب أيها الحقير، الكل في الوسط الفني يعلم خلوة رمزي زكي في بيته **(يضحك)** وكان جزاؤه ركلات ولكمات وشتائم. لا يعلمون هؤلاء الشباب أنني سليل عائلة "زكي"، وأن جدي كان يمتلك أرضا يركض فيها بخيله طيلة النهار، فلا يأتي على آخرها.. الجهلاء لا يعرفون أن أرض عائلتي كانت زمام مركز "هميا" في محافظة الشرقية، وحوله خمس عشرة

قرية. أنا رمزي زكي، أسكن في شقة وسط القاهرة، في عمارة الإيموبيليا. لقد خرب الوسط الفني بأمثال هؤلاء، وغيرهم من الغسّالات اللائي تحولن إلى راقصات درجة ثالثة، ثم صرن ممثلات يملأ ردحهن كواليس المسارح والاستوديهات. ولكن الكل يعلم من هو رمزي زكي، والكل يتوقف عند اسمي، ورسمي، وشخصي، ثم يأتي هذا الرعديد، ويفسد خلوتي، وأنا أراجع دوري في فيلم "الغادة الحسناء". **(كأنما يتذكر)** ياه، لقد كنت متقمصا في هذا الفيلم دور "سليم باشا السروجي"، عضو مجلس النواب. كم كنتُ رائعا وأنا أؤدي هذا الدور، كان منسجما مع شخصيتي وتكويني، أنا رمزي زكي، الذي ذهب لباريس لتعلّم القانون، فأغرم بالفن والمسرح في بلد الجن والملائكة، فعدت سابحا في غمرات الفن، كارها قيود القانون. **(يتحرك رافعا يده لأعلى مستحضرا شخصيته في الفيلم، متعمدا النطق بعربية فصيحة كأنه في مرافعة بالمحكمة)** أيتها الغادة الحسناء، لن أكون ألعوبة في يدك، سأحافظ على ما وصلت إليه من مركز ومكانة. أيتها الغادة اللعوب، لقد كنتِ الخطأ الوحيد في حياتي، حين تزوجتك وقد تجاوزت الخمسين من العمر، وأنت في العشرينيات، أنا في قمة نضجي العقلي والفكري، أقطف ثمار كدّي في العمل والسياسة، وأنتِ لاهية، عابثة، تفكرين في جمالك، تتباهين بفتنتك. حياتي منظمة كالساعة المنضبطة، وحياتك فارغة فوضوية كبندول الساعة الخرب.

(صوت الحسناء بنبرة أليمة) ولماذا تزوجتني وأنت تعتبرني خطأ في حياتك؟ لماذا أدخلتني في نظام حياتك الذي لا خطأ فيه كما تقول؟

(صوت سليم بحدة) أردت أن أعيش شبابي الذي لم أعشه.. أردتك بهجة في حياتي الخالية من البهجة **(بحزن)** فاكتشفت أنك ترس خرب في الساعة، لو أبقيت عليكِ سيدمر باقي التروس.

(صوت الحسناء باكيا) أنت قاسٍ جامد روتيني، الإفطار الساعة السابعة والنصف صباحا، والغداء الساعة الثانية ظهرا، والعشاء الساعة الثامنة مساء، وعلى كل من في المنزل الالتزام بهذه التعليمات،والويل ثم الويل لمن يخالف هذا النظام.

(صوت سليم) نعم، لأنني حققت بهذا النظام كل ما أريد، ها أنا عضو منذ عشرين عاما في مجلس النواب، ونائب رئيس حزب الأحرار، وأحمل كل أعبائه على كتفيّ، وضيف دائم في حفلات الخاصة الملكية؛ لمولانا أدام الله بقاءه، وحافظت على ممتلكات عائلتي في الأراضي والقصور والعمارات وزدت عليها.

(صوت الحسناء وهي تكفكف الدمع) وماذا تريد مني الآن، بعد زواج سبع سنوات أثمر طفلا بريئا؟

(صوت سليم بكل ثقة) أريدك أن تخرجي من حياتي أيتها اللعوب، اتركي ابنك يعيش في أمان، لقد لوّثتِ حياته؛ لن أغفر لك عشقك لضابط سلاح الجو الملكي. فاذهبي إلى الجحيم معه، واتركي الجنة هنا التي تتمناها أية فتاة.

(صوت الحسناء) أنت وحش، بشع، مغرور..

(صوت رمزي) هذا أنا سليم باشا.. **(متلجلجا)** هذا أنا.. رمزي بك زكي، ما هذا؟ كأنني هو، وكأنه أنا! يوجد شبه كبير بيننا، ولعل هذا سبب النجاح المدوي للفيلم...، وقتها قال لي مخرج الفيلم "محمود ماهر": إنه كان يراني طبيعيا تماما. **(يتلجلج)** هل أنا بهذه الوحشية؟ التي تحرم أما من ابنها، وكانت لذتي أن آخذ

هذه الحسناء من حبيبها الضابط، لقد رأيتهما جالسينِ في محل "جروبّي" وسط البلد، كانا يتضاحكان ببراءة، يميل عليها ويهمس في أذنيها، فتبتسم في استحياء، لم ينشغلا بنظرات رواد المحل، وهم أجانب أو من الطبقة الارستقراطية في مصر.. كأنهما في عالم آخر.

صوت الحسناء: كنتَ أنانيا، أردت أن تستحوذ عليّ، وأنت تعلم أن قلبي مع رجل آخر، ضغطتَ على أخي..

يقاطعها: هههههه، أخوك هذا، كان موظفا صغيرا في الوزارة عندي بدرجة سابعة، والآن صار درجة ثانية، وعلى مشارف الأولى، كلما مرّ عام على زواجنا، ترقّى درجة؛ وحصل على المزيد من العلاوات **(بتكبر)** لقد أدخلتُ السعادة على جميع أفراد عائلتك، الكل استفاد من زواجك مني. هل تنكرين ذلك؟ أنتظر ردك أيتها الحسناء اللعوب.

(يتغير صوت الحسناء إلى صوت زوجته نادية، بنبرة دالة على سنها الشاب)

اهدأ يا رمزي، قصدي يا أستاذ رمزي، هكذا كان يجب عليّ أن أناديك، رغم أنني زوجتك، ولم أجرؤ أن أناديك باسمك – أمام الناس - مثل كل زوجة، لم أجد فرقا كبيرا بين رمزي الفنان الذي كنت أراه في الاستوديو، وأنبهر بأدائه، وتقمصه للشخصية بشكل رهيب.. وبين رمزي الزوج في المنزل.

(رمزي زاعقا): أنتِ يا نادية مرة ثانية، ألا تكفين عن اقتحام خلوتي؟ تعبت من صوتك الذي لا يفارقني في يقظتي.. وفي منامي، أيتها اللعوب التي خلبتْ عقلي **(يتذكر)** آه، كم كنتِ رائعة وأنا أراكِ خلف الكواليس، كنت في الثانية والخمسين،

وأنت في الثانية والعشرين، أيتها الجميلة، ذات العـود المخمـلي. أنهي تصوير المشهد، فتسرعين بالتصفيق لي، وتهتـفين بإبـداعي، شككت في نواياكِ، ولكنك كنتِ صـافية الـعينين وأنـت تتعلقـين برقبتي، وكلماتك تصبّ متتالية. أخبرتني أنـك جئـت مـن ريـف "المنصورة"، هربتِ من زوجة عمك التي أذاقتك الهوان، فعملت في القاهرة خادمة، وشاء حظكِ أن تعملي عند المعلمة "سماسم" في شارع محمد علي، ثم صرتِ راقصة..، ثـم ممثلـة عـلى يـديّ. أيتها الجميلة، جئتني في كهولـتي، أعـدتِ شـبابي إليّ، أو هكـذا تخيلتُ، كان يوم زواجنا غريبا، دعوتك للعشاء في مطعم "ألفـي بك"، كنتِ تنظرين إليّ متيمة بالحـب، وتغمـزين إلي، أشـعلتني همساتك، وعندما ألمحـت لـك أن نـذهب للمـنزل سـويا، بـان الغـضب في قـسماتك، وهممـت أن تـذهبي عـني، اشـتعلت أعماقي، ناديت النادل، سألته عن أقرب مأذون، فأرشدني إلى بيته في شارع التوفيقية...، هههه، فوجئ المـأذون بمـن يطـرق بـاب شقته الساعة الواحدة صباحا، وعندما رآني، هتف: الفنان العظيم رمزي زكي، لا أصـدق عيـني، دعـاني للـدخول، ودون مقـدمات طلبت منه أن يزوجني "نادية" الآن...، بهت الرجل، وهو يطالـع شيب رأسي ووقاري، وهيئتي العالية، وينظر لهـذه الفتـاة التـي كانت في عمر ابنتي. ولكن نظراتي الحاسمة، جعلته ينـادي عـلى البوّاب، الذي فهم المقصود، وجاء ومعه شاهد آخر، وتم الزواج، وسعدوا جميعا بالمبلغ الكبير الذي أعطيتهم، وبكونهم شـاهدين على زواج رمزي زكي والفنانة الصاعدة - هكـذا قـدمتها لهـم - الفنانة "نادية"، وافقت جميلتي أن يكون زواجنـا سريـا، وعـشنا أياما صاخبة في شقتي، أعدتُ فيهـا خـادمي "علـوان" إلى بلـده،

وأحـضرنا خادمـة تقـضي النهـار وتبيـت في بيتهـا في منطقـة "الترجمان" ليلا، بعـد خمـسة شـهور تـسرب الـخبر إلى الوسـط الفني، لا أعرف من سرّبه، ولكنني اضطررت أن أعترف به، إنقاذا لسمعتي.

صوت نادية: أنا التي أبلغتهم، وصرت زوجة الفنان الكبير رمـزي زكي.

(يضحك وكأنه لم يسمعها) قلت لزملائي الفنانين عنـدما سـألوني: يا حسّاد، أنا أجدد شبابي، وأحسن من الحرام.

(يخاطبها) كنت ذكية أيتها الحسناء، استطعتِ أن تفرضي نفسك في كل أعمالي، وسمّوني أنـا وأنـتِ "الثنـائي المتـضاد"، هههههـه، كانت هذه التسمية من شاب صحفي لعين، هو أول مـن لاحـظ أن نادية معي في كل فيلم، فكتب هذا المـصطلح، ولمـا اتـصلت برئيس التحرير اعتذر بشدة، وأحالني على الصحفي الذي اعتذر بدوره، وقال إنه سبق صحفي، ابن الـ... ، ولكنه أعجبـني في رده عندما سألته فقال لي **(يقلد صوته):** هي ضدك في كل شيء، أنت متجهم، وهي ضاحكة، أنت رزين، وهي شقية، أنت كهل وهـي صبية، ما رأيك أيها الفنان الكبير؟ **(صوت رمزي)** فعـلا، يـا ولـد كانت ملاحظتك ذكية.**(يصمت هنيهـة)** بـصراحة، البنـت نادية شابة وصغيرة، أعادتني لزمن مضى، لأيام الشباب. التي لم أعشها، فعـلا لم أعشها كما عاشها الشباب مثلي، كنـت حبيـس القصـر، لا أعرف إلا الحديقـة الواسـعة، والخـدم ذوي البـشرة الـسوداء الواقفين عن مقربة، في انتظار أية إشارة أو طلـب مـني، ومعـي السائق عندما أذهب للمدرسة، أنا مـن عـشت في أحـد قـصور "الفجالة"، كنت مشتاقا إلى الأحياء الشعبية، إلى النساء المرتديات

الملاءات "اللّف"، لذا كنت أستمتع بكلام البنت "عيشة" الخدامة عندنا في القصر، آه، كنت تجنني بدلعها، وغنجها، كنت أتلصص عليها وهي تغني في المطبخ. **(بصوت زاعق)**: هل أحببتها؟ لابد أن أعترف أنني عشقتها، وطبعا لم أتزوجها لأنني لا أريد أن أقدم قصة ابن الباشا الذي يتزوج الخدامة، وأضع سمعة عائلتي في الحضيض. لقد أخذتني "نادية" المجنونة إلى عالم شعبي، ومرات كنت أناديها بعيشة.. تسألني عن سبب تغيير الاسم، كنت أقول لها: أدلعك بطريقتي. والحقيقة أنني أشبع ما كان بنفسي، وأعيش أياما افتقدتها.. لقد فهمت مرادي،وارتديتِ جلابية بيتية، وربطتِ شعرك بطرحة قطنية، وكنت تتظاهرين بالنوم جانب المطبخ، حين آتي متأخرا...، فأشعر بسخونتك.

صوت نادية: كنت تهذي بكل شيء وأنت معي **(تضحك بغنج)**.

رمزي زكي (يواصل): كنت أخشى أن أسير في الشارع وأنت معي، وأفضل أن نكون في السيارة، رغم إصرارك أن تصحبيني، وتقولين أنا أفتخر بك يا رمزي، أو يا "رموزة". أيتها الجميلة الشقية، ثلاث سنوات عمر زواجنا، وكان الفراق بيننا، ثم طلبتِ الطلاق، لقد انتهت مهمتي كما فهمت من كلامك. لم أكن أتصور أنك تستطيعين البعد عني، أنا الذي صنعتك، في ثلاث سنوات صرت أيتها العفريتة نجمة، تشاركين في السينما، والمسرح، وصار الكل يتحدث عن النجمة الشقية الصاعدة، وقد امتلكتِ دهاء عجوز في الخمسين. أيتها الشيطانة، ذهبتِ عني، وعدتُ للوحدة ثانية، جاءني الولد علوان من البلد، وصار البيت جافا، والحياة يابسة، وعدت إلى صراخي، وكنت أنادي الولد علوان وأهذي له: غدا ستأتي نادية راكعة، باكية، نادمة. المجنونة تريد أن تعيش وحدها

في الوسط الفني بشراسته ومساوماته، توقعت أن تعودي سريعا أو بطيئـا، المهـم سـترجعين. كيـف سـتتعاملين مـع المنتجـين والمخرجين من غـيري؟ وكـل مؤهلاتـك شـهادة الإعداديـة، مـع براعتك في "هز الوسط". ولكن مرت الشهور والسنون، لم تعودي، تتقدمين من فيلم لآخر، ومن مسرحية لأخرى. كنت أتسلل وأنـا أغطي وجهي بكوفية، وأشـاهدك عـلى المـسرح. تمـيزتِ بـأدوار الغنج، فتثيرين الجمهور بفستان فوق الركبـة، ومـشية متمايلـة، وشعر يتطاير، والشباب يصرخ عندما تقولين (يقلّد صـوتها): "آه يا قلبي، آه يا عقلي، ولعتني يا مضروب"، والغريب أنـك تبرعـين في أدوار الخدامـة، وتحوّلـت مـن أدوار الـرقص والإغـراء إلى البطولة الثانية ثم.. (بحسرة) إلى البطولة الأولى، ها أنا في نهايـة السبعينيات وقد أقفر البيت من الزائرين، وسكت الهـاتف عـن الرنين، وأنتِ كما أنتِ، في شباب دائم كما وصفكِ أحد الصحفيين في مجلة "الكواكب"، وهو يصف سـمات النجـاح لـدى النجمـة الصاعدة "نادية فهمي"، ولا أعرف من أين جاءك لقب "فهمي"، وأنا أعلم اسم أبيك "بسطاويسي الـسيد عبـد المـولى"، آه، صرتِ أنت "نجمة الشعب"، ياه، لقد أطلقوا عليك الصحفيون عـشرات الألقاب، مرة يسمونك "الفنانة الـشاملة" طبعـا: شـاملة للرقـص والتمثيل وأشياء أخرى، ومرة يـسمونك "نجمـة الـشباك"، ومـرة "شمس الفن"، والغريب أن زوجك الحالي والـذي لا أعـرف رقـم ترتيبه بين أزواجك المتعاقبين، يسير وراءك، وهو مـدير أعمالـك، والآن صار المنتج والمسوّق لأفلامك الأخيرة.

(يتأمل في إحدى الصور المعلّقة وهي صورة ملونة حديثة، حيث يرتدي جلبابا بلديا، وعليه معطف أسود، ويضحك بخبث) لماذا

علّقتُ هذه الصورة هنا؟ ياه، هذه مشاركتي في فيلم "أربع نساء ورجل"، معقول، أنا أتعاون معك أيتها الشقية، بكل ما أحمله لك. لقد استعطتِ أن تقنعيني أن أشارك، وأن أعود بقوة إلى ساحة السينما، كان هذا من عشر سنوات، وكان دوري جديدا فعلا، سمسار عمال وحريم، لا، سمسار حريم، **(يتغير صوته إلى الحديث باللهجة الريفية وهو يخاطب عدة فتيات ورجال):** "منصور بك" المحامي، وهو ابن بلدنا، وربنا فتح عليه، وصار عنده مكتب كبير في مركز البدرشين، من منكم يريد الخير والنعيم كله؟ بصراحة يا جماعة عندنا أربعة رجال من الخليج "مريشين" بملايين، وعاوزين أربع بنات قمرات، مين اللي نفسها في عشرين ألف جنيه؟ وعيشة هنية، ومركبة رخيّة، يلا يا حبايب، وكل المطلوب البنت الحلوة بالهدوم اللي عليها، وساعتها طاقة القدر تتفتح لها. **(يسكت، ويأخذ نَفَسه، ويواصل بصوته المعتاد):** كان دوري هو دور خولي الأرض في قرية، يستغل عمله للتعرف على الفتيات الجميلات وتقديمهن إلى الخليجيين وطلاب الزواج المؤقت في أجازة الصيف، في الفيلم، زوّجت أربع بنات أقل من 18 سنة لأربع رجال تخطوا الستين، أحدهم دار حول البنت "تحيّة"، وأعجب كثيرا بجسمها من الأمام والخلف، كان المقابل لي ألف جنيه عن توريد كل بنت، وثلاثة آلاف جنيه لمنصور المحامي لكتابة العقد العرفي، وطبعا حق السمسرة والعقد على العريس. **(يضحك)** استطاعت "نادية" أن تسوّق الفيلم، وهللت الصحافة والمجلات وكل الأقلام التي تقبض رواتب شهرية منها للفيلم، ولدوري الجديد فيه. **(يمسك بإحدى الصحف القديمة ويقرأ)** "لأول مرة الفنان رمزي زكي في

دور شعبي"، "رمزي زكي يدين سمسرة الصبايا في فيلم جديد"، "رمزي زكي يحصد جائزة أفضل ممثل ثان مع نجمة الشعب نادية فهمي" **(يضحك)** وهل كنت أدين السمسرة أم كنت أروّج لها؟ لا أعلم، فسينما هذه الأيام مائعة، لا تعرف رسالتها، وإنما قصة شائقة، مع مشاهد ساخنة، مع نهاية فاجعة، وقبل ذلك وبعده دعاية مواكبة. ياه، لقد قبلتُ العمل بشروطهم، ونجحت نادية في إعادتي للساحة الفنية بعد غياب سنوات عنها **(يتذكر)** كان إعلان الفيلم في التلفزيون مشهدي وأنا أغني والبنات في الغيط حولي، وصوت المعلق يقول: "لأول مرة، الفنان الكبير رمزي زكي في دور الخولي"، هذا هو الدور الذي فهمته من السيناريست، والحقيقة أنه دور القواد، واكتشفت ذلك بعد توقيع العقد، وأنا أحفظ الدور، وأستمع للمخرج الشاب، الذي همس لي أن يكون أدائي خفيفا سريعا، مثل البهلوان. وعندما أديت بعض المشاهد، صرخت "نادية" وهي تقول: أنت أستاذ وفنان عظيم، الله يرحم أيام زمان. وهتف المخرج: فعلا، الموهبة الكبيرة لا تعرف السن، ولا تتأثر بالبعد عن الشاشة سنوات **(يضحك)** نادية قالت لي: ستعود بقوة يا أستاذ، الكل سيجري خلفك. وفعلا، ركضوا جميعا خلفي، وازداد رنين التليفون، وكانت مسلسلات في استديوهات تونس واليونان وعجمان، وأفلام في القاهرة ولبنان، كانت أدوارا صغيرة، ومتوسطة، ولكنها مؤثرة، وعندما اشتد انحناء ظهري، خبا الضوء ثانية، وهدأ التليفون والموبيل، ثم صمت.

(صوت نسائي) نسيتني يا رمزي، نسيتني.

(ينتبه) "اعتماد"، "اعتماد"، لا لم أبتعد عنك، أنتِ في.. نفسي

(بصدق) أعترف لك أيتها الزوجة الوفية أنني ظلمتك، نعم ظلمتك، تزوجتك لأن أمي طلبت مني الزواج، وهي التي اختارتك لي، كم أحببتك يا أمي! وكم أحببتك أكثر عندما حضرتِ أول بطولة مسرحية لي، على مسرح العتبة، رغم معارضة أبي، ووقفتِ بعد انتهاء العرض، والجمهور يعلي تصفيقه لي، تقولين لهم: هذا ابني، رمزي ابني. ونزلت من على خشبة المسرح عندما أشرتِ لي، وحضنتِني وسط الجمهور الذي صرخ وهو ينظر للسيدة الأرستقراطية، وحول رقبتها فرو من أفخم محلات أوروبا. وبجانبها كنتِ أنتِ يا اعتماد مع خالتي، كانت نظراتك مليئة بالإعجاب، وعندما عدنا في سيارة واحدة، كنت بجانبي، وفي يوم الجمعة كانت العائلة تحتفل بخطبتنا معا، وعانقتني أمي وهي تقول: اعتماد من العائلة، بنت أصول، تحميك وتحفظ شرفك، وهي ابنة خالتك، لو أغضبتها يوما، تذكر أنك تغضبني. وأظن أنني لم أغضبك يوما

(صوت اعتماد) ليتك أغضبتني، وصالحتني، كانت حياتنا عادية، تزوجتك لأنني أردت أن أخرج من حياة العائلات الارستقراطية الروتينية.

(رمزي) ولهذا طلبتِ الطلاق بعد سنوات، أقصد بعد خمس سنوات. ظننتك أنك تتوقين للإنجاب بعدما...، ليتكِ قلتِ هذا، كنت مثلك مشتاقا لهذه الحياة، ولهذا أنتِ تزوجتِ من مهندس بعيد عن العائلة، وقالت أمي مرارا لي وهي تؤنبني: صار وجهها ضاحكا، ولا نراها إلا مع ولديها.

سنوات طويلة مرت، ثم تلقيتُ منكِ بطاقة دعوة رقيقة بوصفي أحد رموز العائلة ومشاهيرها، لأحضر حفل زواج ابنك، قلتِ لي

وقتها: لقد اخترتُ حياتي يا رمزي وأنا سعيدة بها، هل اخترتَ حياتكَ أنت؟ بان الغضب بوجهي، فصالحتِني ببراءة: أنا أحترم عشرتنا يا رمزي، وليتك تعيش مثلما أنا عشت، ولأني أعرفك جيدا، أقول لك ودي أن تعيش حياة كما تريد أنت.

بعدها بأشهر، تزوجت من نادية، ومارست صخبا متأخرا. ولكنه مجرد صخب.

(إظلام)

مسرحية:

مقيم شعائر النظام

الفصل الأول

(بيت شعبي بسيط، مصباح أصفر الإضاءة، حصيرة مفروشة على الأرض، وأطفال نائمون على مرتبة قطنية، مغطَون بلحاف يميل لونه للسواد، الزوجة أم الخير ملهاة بإسكات رضيع، الزوج بدوي يدخّن شيشة صغيرة، على الحائط معلق جبّة وقفطان وسبحة طويلة، يعلو صوت الإذاعة بموسيقى روتينية للبرامج الليلية لإذاعة البرنامج العام المصرية)

أم الخير: وداد بنت أم فتحي تعاير إبراهيم ابنك بجلابيته القديمة.

بدوي: وما دخل وداد بابنك؟

أم الخير: كله من أمها، لسانها سابق مكانه، وداخل في كل بيت في الحارة.

بدوي: نسوان مجانين.

أم الخير: تقول وداد لإبراهيم: جلابيتك مقطعة وأبوك عنده فلوس كثيرة؟ هو أبوك شيخ جامع أم شيخ منصر؟ تحسدك يا بدوي على رخصة الكشك.

بدوي (متفاجئًا): وكيف عرفت موضوع الكشك يا "أم الخير"؟ الموضوع طازج من أسبوعين ولم أضع الكشك حتى الآن في أي شارع! صحيح الناس لا تترك أحدا في حاله.

أم الخير (بدهاء): يا "بو إبراهيم" أنت في حارة "أبو جاموس"، ادع ربنا يبعدنا عنها، لبيت نظيف، بعيد عن العيون المدورة المتخفية وراء "شيش" الشبابيك، والنسوان التي تفرش طول النهار أمام العتبات ينقرون بعيونهم وكلامهم الماشين والقاعدين.

بدوي: نفسكِ أنتِ في بيت ثان؟ أأهجر بيت أمي؟!
أم الخير (تهز رضيعها): ألم تتعب من جحر أمك هذا؟ وجوه عيالك اصفرّت، (**تستدرك**) لا قل: من ساعة ولادتهم وجوههم مصفرة ؛ لا شمس ولا هواء، بل حسد وفقر وغل.
بدوي: صحيح! كنتِ ساكنة - أنتِ وأهلك – في وسط البلد مع الأمراء والأغنياء، الله يرحم أمك، كانت مؤجرة دهليزا في بيت الكتبي، في حارة "حنظل ". احمدي ربك يا ولية، تعيشين في بيت ملك زوجك، عندك غرفتان، ودهليز، وسطح ملئان بعشش الفراخ والأوز والبط.
أم الخير: اسكت يا رجل، الحيطان تسمع، أنت عارف أن نسوان الحارة يتشممن الهواء، يمكن كلمة تطير من عندنا،تتقلب ألف قلبة. (**تدعو برفع رأسها دون كفيها**) إلهي يقلبهن في جهنم. ادع يا شيخ أنت تصلي بالناس، وهم يتبركون بك.
بدوي (**يخرج دخانًا كثيفًا ويضحك بسخرية**): ادعي أنتِ، وسمّعيني، أنا مللت من كثرة الأدعية في الجامع.
أم الخير (وهي ترضع صغيرها): ربنا يخليك لعيالك، ويخزي الحاسدين، ويقهرهم.
بدوي: آمين، ربنا يقبل منكِ. (**ينكشها**) أشك أن العلي القدير يقبل دعاء وليّة؛حياتها فراخ وعيال، ينسلت من جسمها كل سنة عيّل، وتكوّم بيض الفراخ على قلبها لتبيعه في السوق. يا ولية، نفسي أشوفك مرة تذبحين بطة بدلا من بيعها في سوق الثلاثاء.
أم الخير: يا رجل، كل أسبوع أذبح لك فرخة أنت وعيالك، البط تجارة، ولا تنسَ أن الكشك الجديد سيكون من فلوسي.
بدوي: آه، الدنيا أحوجتنا لفلوس النسوان.

أم الخير: سأبيع ثلاث أساور ذهب عيار 21، الله يسامحك.
بدوي: هذا دين عليّ، وسأسدده لكِ عندما تُفرَج، (**يسبها في سره**) ولية..
أم الخير: حقي وحق عيالك، نسيت أنك تضيّع مرتب الأوقاف على كيفك.
بدوي: يا ولية أنت تأخذين ثلثيه، والباقي مصاريفي، هل أمشي مفلسا من أجل عيالك؟ (**يردف بحنق**) والمشكلة أنك أرنبة.
أم الخير: يا رجل افرح ؛ أنت تمشي في الحارة رافع رأسك بين رجالها.
بدوي: بعيالك طبعًا؟
أم الخير: طبعًا، كل عيّل يكيد ولية، وأنا أسند ظهري وأمدّ رجليّ.
بدوي (متذكرا): بالمناسبة، اليوم الإمام شكاني للمفتش، وقال له: بدوي مشغول برخصة الكشك، ولا يحضر الصلوات، والمفتش هددني بتحويلي للتحقيق.
أم الخير (بخوف وهي تضم صغيرها): يا خرابي، وماذا ستفعل؟
بدوي (ضاحكا بثقة): لا تخافي، عندي من يحميني.
أم الخير (هامسة بخبث): طبعا هو لا يعرف أنك تخطب الجمعة في جامع آخر؟
بدوي (ضاحكا): أنت عبيطة! طبعا يعرف كل شيء عني، ويعرف أني أخطب الجمعة في جامع " الهواري "، لأني غير موجود يوم الجمعة، و" أبو علوش "الفراش يؤذن ويقيم الصلاة، والشيخ الإمام يصلي بالناس، ولا أحد يحسّ بغياب مقيم الشعائر.
أم الخير: ولم يعترض؟!

بدوي: لماذا؟! هذا أكل عيش، والخطبة مع صلاة الجمعة ربع ساعة بس.

(يضحك وهو يتذكر)

بدوي: مرة..، وأنا واقف أخطب الجمعة، وكنت أقرأ ورقتين مقطوعتين من كتاب للشيخ كشك، قطعتهما بسرعة من كتاب لقيته في الجامع، كان صوتي عاليا، والناس مطأطئة، وقف شاب وقطع الخطبة، وقال لي: كلامك يا شيخ غير مفهوم. ابن الـ...، زعقت فيه، وقلت له: حرام تقطع كلامي، قال لي: وليس حراما أن تقول ما لا نفهمه. ابن الـ...، نظرت في الورقتين، وجدت أنني أقرأ آخر صفحة مع الفهرس.

أم الخير (مصدقة على كلامه وهي ترقد رضيعها في مهده): فعلا رجل وسخ، يقطع عليك الخطبة، أخاف أنهم يحرموك منها، والولد يروح يشتكي للمديرية.

بدوي: يشتكي من يا امرأة؟ أنا عندي من يحميني، (**يغير وجهه وينظر لها بسخرية**) طبعا أنت لا تعرفين الفهرس ولا غيره، جاهلة مثل أهلك.

أم الخير (تقاطعه): صحيح يا ابن " بهانة "، وأنت راسب في الابتدائية، وكذبت على أهلي وقلت لهم إن معك الإعدادية. وعرفت سرك لما عينوك في الأوقاف بعد محلج القطن، ساعتها كنت حاملا في إبراهيم، يعني كانت الفأس وقعت في الرأس.

بدوي (هازئا): بصراحة يا أم الشر، يا ليت الفأس لم تقع، أو تكون قد وقعت على رأسك ؛ كنت ساعتها ارتحت منك ومن همّك.

أم الخير (متغيرة الوجه بشكل مقزز): يا ناقص، عيب عليك، أنا

بنت عـائلة معروفـة في الحي، أما أنت فأمك كانت تبيع الـشاي في "المـوالد"، قـدام مقـام أبو سبيحـة، وعمـري ما شفـت أبــاك، ولا نعرف هل هو حي أو ميت، والناس تقول إن أمـك سـجلتك عند الحكومة أن والدك مات في حادث.

بدوي (متلجلجا): ماذا تقصدين يا وليّة؟! أبي كان مـن الـصوفية المجاورين للمقامات، وكان عليه العهـد أن يحـضر موالـد أهـل الطرق، والمشكلة كانت في أمي؛ رفضت أن ترحل معـه، وقامـت بتربيتي جانب مقام الشيخ " أبو سبيحة" الصالح.

أم الخير (بخبث): وأبوك لم يرجع أبدا؟!

بدوي: نعم لم يرجع **(يردف)** أنت جاهلة، أهل الصوفية حياتهم مع الأولياء وأنا تربيت مثله جانب المقـام، وأمـي اشـترت هـذا البيت من حرّ مالها، الله يرحمها، تعبت وشقيت وربتني.

أم الخير (ساخرة): ربّتك على سندويشات اللحم والأرز الموزعـة في الموالد.

بدوي (بعصبية تصل لحـد الـشتم): يـا بنـت الــ...، هـذا أكـل الصالحين، وهو أحسن من أكلك أنـت وأمـك مـما يتبقـى عـلى طبليات المخدومين. **(يواصل هازئا)** أمك كانت تخدم في البيـوت، وجدتك ندابة بـالأجرة. فعـلا، لـكِ حـق أن تقـولي أنكـم عائلـة معروفة في الحي.

أم الخير (بنعومة): عيب يا بدوي..أنـا أم عيالـك، والفقـر ليـس عيبا. وأنت قلت لي إنك حفظت القرآن وتعلمـت الأذان جانـب المقام.

بدوي (يجاريها لدواعي المصلحة): أنتِ لسانك زالف **(يستدرك)** ننسى ما فات، وربنا يعوض علينا ونعيش أحسن من أهالينا.

(موسيقى نشرة الأخبار)

المذيع:... وقد ترأس الرئيس جلسة مجلس الوزراء هذا الأسبوع، حيث استمع إلى شرح مفصّل من الوزراء حول خططهم المستقبلية، في ضوء الخطة العامة للتنمية في مصر..

بدوي: كل الوزراء يتكلمون إلا وزيرنا، وزير الأوقاف.

أم الخير: ربنا يخلي الحكومة، نحن نعيش في خيرها.

بدوي (مواصلا دون أن ينتبه إلى مقولتها): الغريب أن وزير الأوقاف شيخ، والشيخ شاطر في الخطب، وعمري ما سمعت عن خطبة له قدام الرئيس.

أم الخير: كيف يخطب قدام الرئيس؟

بدوي: يعني يصعد المنبر، ويخطب في صلاة الجمعة أو العيد قدام الرئيس. (**باستهزاء**) وزيرنا ماهر في التعليمات، كل أسبوع يرسل لنا نشرة بها تعليمات جديدة، وآخر هذه التعليمات أننا نقفل المسجد بعد صلاة الجماعة فورا. ولما قلت للمفتش: فيه ناس تتأخر، قال لي: نفّذ التعليمات وأنت ساكت، لا تتدخل فأنت مقيم شعائر فقط، ولا تتكلم مرة ثانية لأن قَفْل المسجد مسؤولية الفرّاش.

أم الخير: احمدْ ربنا يا "بو إبراهيم"، لولا تأشيرة الوزير بتعيينك كنتَ الآن في الشارع.

بدوي (مهمهمًا): دفعت ثمنها، كل خدمة في بلدنا بفلوس. وأنا منذ تعييني في الأوقاف والوزير موجود، والمشايخ يهمسون أنه باق في الوزارة مدى الحياة، (**يضحك**) ولما زار الرئيس المحافظة، شفت الوزير وراء الرئيس في كل خطوة، يضحك، ويهز رأسه موافقا الرئيس في كل ما يقول، مع أن الرئيس ولا مرة نظر إليه.

أم الخير (باستغراب): يضحك، يضحك، بدون سبب!
بدوي: والله بدأتِ تفهمين، فعلاً يضحك بدون سبب،أو أن هناك وزيرًا آخر يقول النكت، ولا يجد إلا وزيرنا يضحك له.
أم الخير: وزير الأوقاف شيخ يا " بو إبراهيم "؟
بدوي: نعم.
أم الخير: لماذا لا يلبس العمة والكاكولا؟
بدوي: سؤال حلو منك يا ولية! فعلاً أول ما يقعد الوزير على الكرسي يخلع العمة ويلبس البدلة، ولو ترك الكرسي يرجع للعمة والكاكولا، وكأن الكرسي مفصّل على أصحاب البدل الإفرنجي، أو أنه يتبرّأ من لبس مشايخ الأزهر.
أم الخير: أنت كنت معهم، عندما زار الرئيس المحافظة؟
بدوي: طبعا يا ولية، وحضرت لقاء وزير الأوقاف مع المشايخ، في مسرح جمعية الشبان المسلمين.
أم الخير: ربنا يفتحها في وجهك يا " بو إبراهيم ".
بدوي (بفخر مصطنع): أنت لا تعرفين قيمة زوجك. (**يضيف بتباهٍ**) بالتكليف والله، أجلسوني في الصف الثالث وأنا لابس الجبة والقفطان الجديدين، اللذين تسلمتهما من المديرية قبل زيارة الوزير بيوم واحد، كان أمامي في الصف الثاني كبار مشايخ المديرية والعلماء، وفي الصف الأول كان وكيل الوزارة، والمحافظ، وضباط الشرطة.
أم الخير: يزيدك من نعيمه ربُنا.
بدوي (وهو يضع معسّلا جديدا في الشيشة، ويستلذ بالحكي): تكلّم الوزير كثيرا عن الدعوة للإسلام، ونصح الناس، والأخذ بأيدي الشباب، وأنا كنت أسمعه. وبعدها فتح الأسئلة، وبعد

دقائق، امتلأت الترابيزة قدامه بورق كثير، كان مساعد الوزير يقرأ الورق، وأخيرا، أخرج ورقة، وأعطاها الوزير، الذي ابتسم، ثم ضحك، نفس ضحكته وهو خلف الرئيس، وقال: يا إخواني، نحن اليوم في أيام خير وبركة **(يضحك بدوي معلقا وهو ينفخ الدخان)** كنا في شهر صفر، يعني لا رمضان ولا عيد ولا إسراء... ولا أي ذكرى. المهم أن الوزير واصل كلامه وقال: وبمناسبة هذه الأيام " المفترجة "، ستكون الوزارة سببا في منحة كريمة، ونادى: الأخ الكريم معتز عبد السلام، طلع من آخر الصفوف رجل، وهو يهتف: الله أكبر، الحمد لله، وظل يهتف من آخر المسرح إلى أوله، والناس تصفق له، حتى وصل للوزير، وحضنه وهو يبكي، وأمسك الميكرفون وكان التلفزيون يصوّر، قال الوزير: مبارك عليك يا أستاذ معتز، فزت بالحج إن شاء الله، الرجل صرخ، وبكى، ورقص، والناس كلها تصفق. بعدها وأنا مع المشايخ، همس واحد منهم وهو يقول: معتز هذا ابن أخت الشيخ الجبالي مدير المديرية، يعني " زيتهم في دقيقهم ".

أم الخير: عقبا لنا جميعا يا شيخ، وربنا يرزقنا الحج والعمرة.

بدوي: ويكون على حساب الحكومة طبعا.

أم الخير: طبعا يا " بو إبراهيم ".

(يأتي الابن الأكبر وهو في الخامسة عشرة من عمره من الغرفة الثانية، وهو يفرك عينيه، ويهرش في رأسه)

إبراهيم: الأبلة في المدرسة طلبت عشرين جنيها.

أم الخير: أنت صحوت يا إبراهيم؟ عشرين جنيها؟ لماذا؟

إبراهيم: أشترك في فصول التقوية، والأبلة ستنجحني في الحساب.

بدوي: كل الوزارات تجارات، ما عدا وزارتنا، المدرسون يتاجرون

بالدروس الخصوصية وفصول التقوية، ومحصّل الكهرباء أو المياه ينام على ما يتبقى من الفواتير، ربع جنيه أو خمسين قرشا، ومحضر المحكمة بالرضا أو بالقوة سيأخذ "حق الشاي".

أم الخير (موافقة بهز رأسها): وفي رمضان يا بدوي يأخذ "حق السَّلَطة"، لا يراعي صومًا ولا فطورًا، وكلهم يقولون آه يا بلد؛ الفقير غني متخفٍ، والغني فيها أيضا فقير متخفٍ.

بدوي (بطريقة المشايخ): لعنهم الله، يأكلون السحت. المهم.. وزارتنا فقيرة، والمشايخ مساكين.

إبراهيم: هات الفلوس يا أبي.

بدوي: خذ من أمك.

أم الخير (تكز على أسنانها): أمك ليس عندها.

بدوي: سأعطيك أول الشهر.

أم الخير (للابن): قل للأبلة أول الشهر عندما نقبض المرتب.

بدوي: أعوذ بالله، ابنكِ سيسقط، والفلوس متكومة على صدرِكِ.

أم الخير (ساخرة): قم يا رجل نم، حتى تؤذن الفجر، معقول كل يوم الفرّاش يؤذن وأنت شخيرك ينبّه الحارة.

بدوي (بقرف): وعندي مفتش مساجد مجنون، لما عرف من أهل الشارع أني لا أؤذن الفجر، وحضر بنفسه مرتين ولم يجدني؛ أعطاني خمسة أيام خصمًا.

الزوجة (متفاجئة): خصم من المرتب!

بدوي (بهدوء وخبث): أنتِ خائفة؟ هههههه، يعطيني أي جزاء! ولا يهمني، عندي من يحميني يا ولية. (**يستأنف**) متى ستعطيني فلوس الكشك؟

أم الخير (ضاحكة): متى تريدها يا شيخ؟

بدوي: الرخصة معي، ومنتظر منك " القرشين "، وأشتري الكشك، وربنا يفرجها وأسدد لك، وقد أخبروني في الأوقاف أنهم سينقلونني إلى مسجد آخر، سأضع الكشك بجانبه، وهذا أفضل.
أم الخير: أنت تطلب مني خمسة آلاف جنيه، هل تكفي؟ سمعت أنه يتكلف عشرة آلاف جنيه أو أكثر.
بدوي (ملتاعا): سمعت مِن مَن؟
أم الخير: من يسألْ، يعرفْ كل شيء يا شيخ.
بدوي: آه منك، أنا وفّرت مبلغا، وواحد من المشايخ سيعطيني سلفة.
أم الخير (غير مصدقة): أنت توفّر؟ وعندك من يسلّفك؟! هههههه، ولا مرة حصلت معك، أنا عجنّتك وخبزّتك... بصراحة أريد ضمانة.
بدوي: وماذا تريدين؟
أم الخير: أستلم أنا معاش محلج القطن، حتى ينتهي الدين، وآخذ ثلث أرباح الكشك، والولد إبراهيم يقف معك باليومية، خصوصا أن المدرسة انتهت.
بدوي: يا ضلالية، حرام عليك، ستأخذين رأس مالك، لماذا ثلث الأرباح؟
أم الخير: أنا ضلالية، معاش محلج القطن حق للعيال، وأنا حقي الأرباح يا شيخ قرد.
بدوي (متذكرا): محلج القطن، والله كانت أحلى أيام، ومن بعدها جاءني النكد والفقر.

الفصل الثاني

(محلج القطن، وهو مبنى قديم، يعود إلى حقبة الملكية وسنوات الاحتلال البريطاني، وظلت أسواره دون تجديد. نرى عمالا مرتدين ملابس العمل الزرقاء، وجماعة منهم يجلسون على دكة خشبية، والماكينات جديدة وراءهم لا تتناسب مع قِدم المصنع، هم في راحتهم النهارية قبل استئناف العمل، ويبدو أن هناك عدم انضباط في العمل بشكل عام، وحالة ارتخاء وتهاون تسود بين العمال)

المشهد الأول

عامل أول: صحيح يا جماعة أنهم سيبيعون المحلج؟
عامل ثان: الكلام كثير، ولا أحد يعرف الحق من الباطل.
عامل أول: لا أتخيل نفسي وأنا قاعد في البيت بعد كل هذه السنين. صحيح تعبنا وشقينا، ولكن يظل المحلج مصدر رزقنا. (**ينظر إلى عامل ثالث ويسأله**) ما رأيك يا عم جمعة؟
جمعة (وقد بدا العمر عليه متجاوزا الخمسين): أنا أعمل في هذا المحلج من عمر 18 سنة، يعني منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة (**يتذكر**) لقد جئت من قريتي "الشواشنة" ماشيا؛ لما عرفت من أهل البلد أن هناك تقديما في المصنع، ولمّا وصلت سألوني عن شهادة الميلاد، لم أعرف ما هي، وسألوني عن الخدمة العسكرية وعن الفيش والتشبيه، لم أعرف، كنت مثل "تور الله في برسيمه" فهّمني كل هذا وكيف أجهزها؛ رجل طيب صالح لا يترك فريضة ولا سنّة، وهو رئيس شؤون العاملين في المحلج اسمه الحاج محمد حامد، الله يرحمه سواء كان حيا أو ميتا...
عامل أول: وأين ذهب الحاج محمد يا عم جمعة؟
جمعة: اعتقلوه يا بني...، قبضوا عليه من المصنع، واختفى سنين، وسمعت أنهم رجّعوه لأهله خوفا من أن يموت في السجن من التعذيب، وأظن أن ربنا شفاه، ولكنه لم يعد للمصنع، ولا لوظائف الحكومة.
عامل ثان: عينوك ولم يكن لديك شهادة ميلاد؟
جمعة: نعم، وجّهني الحاج محمد حامد إلى المركز، وهناك قلت أنا ساقط قيد، فأعطوني شهادة تسنين، ولأني الولد الوحيد على

ثلاث بنات، أخـذت إعفـاء مـن الجيـش، واشـتغلت في المحلـج، ومضت السنون، تعلّمت كل شيء، وعملت على كـل الماكينـات، وصرت أحفظ كل شبر في المحلج.

عامل أول: أنت أستاذ كل العاملين هنا يا عم جمعة.

جمعة: أكرمك الله يا بني.. شفنا أياما وليالي في هـذا المحلـج، في أول سنين تعييني فيه، كنت أركب القطار من قريـتي، وأنـزل في المحطة، وأسير خمسة كيلومترات، حتى أصل للمحلج، كان خارج المدينة، وكنت أحمل فطوري معايـا، لمـا أتعـب أسـتريح تحـت شجرة، آكل وأشرب حتى أصل للمحلج.

عامل ثان: واليوم، صار المحلج وسط المدينة، محاطـا بـالعمارات والبيوت.

جمعة: وبسبب الواسـطات والمحـسوبيات، انقلبـت معـدتي أنـا وأولادي، حـسب نظـام ورديـات الـشغل، أصـحاب الواسـطة يختارون الورديات السهلة الصبح أو العصر، وأنا تلـفّ الأوقـات عليّ، أسبوع طول الليل، أصليّ فيه الفجر جانب الماكينة، وأسبوع بالنهـار في الـصبح أو في العـصاري، والله العظيـم كنـت راضـيا، ومـشيت وراء وصـية الحـاج محمـد حامـد، كـان يقـول لي لمـا يشوفني أزعل من الظلم: " يا جمعة، من امتلك الصحة والـرزق والأمان عاش ملكا ".

عامل أول: وماذا عن أصحابنا اللصوص؟

جمعة: هؤلاء سبب خرابنا، وسمعت أنهـم سـبب القبـض عـلى الحاج محمد، هم مثل " الواغش " يعششون في كـل مكـان، ولا تراهم، ونادرا ما تمسك عليهم دليلا

عامل ثان: طبعا، فعندهم في الإدارة من يساندهم.

عامل أول: وظلوا يعايروننا بأن المحلج خاسر، وحرمونا من المكافآت.

جمعة (متحركا إلى داخل المحلج): أنا أحمد الله، على كل هذه السنين، ولكن يحزنني العمال البسطاء، أصحاب العقود السنوية، فهؤلاء لم يتثبتوا في وظائفهم، وسيخرجون من "المولد بلا حمص".

المشهد الثاني

في ركن آخر بالمحلج، يظهر "بدوي" في مقتبل الشباب، مرتديا بذلة زرقاء أكبر منه، وقد وقف يسمع الحوار من عدد من العمال والسخط باد على وجوههم، وهو مكتف بالصمت)

محسن: يا جماعة، هل نظل ساكتين بهذه الطريقة؟

محمود: وماذا تريد أن نفعل؟

جمعة: الهدف واضح، بيع المحلج، وهو ملك الحكومة، والحكومة تفعل ما تريد، رضينا أو رفضنا.

محمود: ونحن أيضا ملك الحكومة.

محسن (بغضب): لسنا ملكا لأحد.

جمعة (بقناعة مصطنعة): الحمد لله، الشركة وعدتنا أن تعطينا معاشا مبكرا، ومكافأة نهاية الخدمة. ولكن ماذا عن أصحاب العقود المؤقتة.

محمود: بيني وبينكم، سآخذ المبلغ وأفتح دكانا أجلس أمامه، وأرتاح، أنا شغّال في المحلج منذ اثنتين وعشرين سنة، وقرفت من الشغلة كلها.

محسن (مبتسما): هل تظنون أن المكافأة ستفتح مشروعا؟

جمعة: يقولون إنهم سيعطوننا عشرين ألف جنيه، لم أمسك هذا المبلغ طيلة عمري، ومع ذلك لن يفيدني في شيء، فلن يشتري أرضا ولا بيتا.

بدوي: وماذا سنفعل؟

محمود: ولا شيء، نرضى بما يقررونه.

محسن: المعاش المبكر لن يكفينا في حياتنا، ولا نعرف غير هذا

العمل، والأفضل أن نتكلم مع رئيس مجلس الإدارة، ونخبره أن المحلج خيره كثير، والخسارة التي يتحدثون عنها سببها السرقات والنهب، يسرقون في كل شيء ؛ قطع غيار الماكينات، بالات القطن، مكافآت العمال.

جمعة: وإذا سألك: ما الحل؟

محسن: نقول له: تغيير مدير المحلج، وتنظيفه من الحرامية واللصوص، وهم معروفون بالاسم.

بدوي: والله كلام معقول. (**متلجلجا**) يا جماعة أنا متعين معكم، وأريد أن أحافظ على وظيفتي. أنا عامل غلبان، عينوني بعقد مؤقت، ووعدوني بالتثبيت خلال سنة أو سنتين، ولي الآن عشر سنين ولم أتثبت.

محسن: وهذا ما أريد قوله، ندافع عن حقوقنا في العمل، المسألة ليست نقودا، الاستقرار في العمل معناه استقرار في الحياة.

جمعة: سيعطوننا معاشا في حالة التقاعد، نعتمد عليه، والمثل يقول: النواة تسند الزير، والمشكلة إن الزير مخروم.

محسن: المعاش يفيد أصحاب سنوات الخدمة الطويلة مثلك يا عم جمعة، أما أنا وبدوي ومحسن، فمعاشنا لن يكفينا خبزا، ونحن في سن لا يسمح لنا أن نبدأ حياة جديدة أو نتعلم صنعة جديدة.

محمود: أنا عمري الآن 45 سنة، ماذا يمكن أن أتعلم في هذه السن؟ وعندما سألت عن معاش التقاعد أخبروني أنه 200 جنيه فقط.

بدوي (متحمسا): أنا متعين هنا بالابتدائية عاملا، ولو طلعت

من المصنع، لن أجد أي وظيفة، ولـن يقبلـوني عامـل نظافـة في مجلس المدينة، لأنهم يشترطون أن أكون ناجحا في الابتدائية وأنا راسب فيها. ولم أتعلم أي صنعة في حياتي.

محمود: لذا، لابد أن نتحرك من أجل عيشنا وعيش أولادنا.

محسن: إذن، نقابل رئيس مجلـس إدارة شركـة مـصر الوسـطى لحليج الأقطان، ونعرض الموضوع عليه.

محمود: نسافر له في القاهرة، ونتقابل معه، لا فائدة من الكـلام مع مدير أو رئيس هنا، شكونا كثيرا وكتبنا عـرائض دون فائـدة. (**يسكت هنيهة ثم يقول**) ولكن من سيمثلنا؟

محسن: اختاروا أنتم، المهم أن يكون الشخص قادرا عـلى عـرض المشكلة بشكل واضح، وصريح، وشجاع.

محمود: لن يكون فينا من هو أفضل منك يا محسن، سافر عـلى بركة الله.

المشهد الثالث

(نفس الديكور السابق، ونفس الأشخاص، وقد ازداد عدد العمال)

محسن (وقد بدا الحنق على وجهه): نعم، قابلت رئيس مجلس الإدارة، وعرضت المشكلة عليه، وقلت له في ختام كلامي: أقول لسعادتك، نحن عمال بسطاء، طلباتنا محدودة، وظيفة نعمل فيها، ونعيل أولادنا منها. يا ليت تأتي بإدارة جديدة، وتمنع السرقات، خصوصا أن المحلج اشترى ماكينات جديدة ستقوم بتحسين الإنتاج وزيادته، فكيف نبيعه بالله عليك؟!

محمود: وماذا قال لك؟

محسن: قال أنت لا تمثل إلا نفسك، ولا يحق لك أن تتكلم باسم عمال المحلج. وأخبرني أنهم أجروا تجديدات في ماكينات المحلج، من أجل تحسين فرص بيعه، وأن الشركة عليها ديون كبيرة، وبيع هذا المحلج سيحل مشكلات الشركة، وهو مصنع واحد من عشرات المصانع التي تملكها، وهذه خطة الدولة في الخصخصة، التي ستساعد على تحسين الإنتاج الوطني كله.

بدوي (صارخا): والعمال، وبيوتنا!!

محسن: قال لي: لن نفصل جميع العمال، سنبقي على عدد منهم، أما الباقون فسنعطيهم تعويضات جيدة، لأن المحلج فيه عمالة زائدة كثيرة.

جمعة: بهذا يكون الموضوع قد فشل.

محمود: فشل؟

جمعة: نعم، هذا نفس الكلام الذي رددته الإدارة هنا.

محمود: حسب علمي، فإن المدير هنا والإدارة المالية وشؤون العاملين سينتقلون للعمل في مصانع أخرى، أما العمال فلا مكان لهم، فكل المصانع تعاني من زيادة العمالة.
جمعة (ساخرا): طبعا، لأن الشركة عيّنت عمالا كثيرين بضغوط من الواسطات وأعضاء مجلس الشعب ولواءات الشرطة.
محسن (متفكرا): لا حل إلا أن نخرج بمظاهرة، ونعتصم في المصنع.
بدوي: مظاهرة!
جمعة: مظاهرة!؟ أنت تعلم نتيجة هذا؟
محسن: ما نتيجتها؟ هذا تعبير سلمي عن حقوقنا، وساعتها سيتحرك المسؤولون في الدولة، عندما تصلهم الأنباء عنها.
بدوي (مترددا): يا عم محسن، أنا غلبان، وأسمع أن الداخلية لا تسمح بموضوع المظاهرات. يكفي ما يفعلونه في الجامعة، يغلقون شوارع الجامعة كلها، ويحاصرون الطلاب ويقبضون عليهم.
(يدخل "قنديل" وهو أحد العمال وبيده جريدة)
قنديل: اسمعوا يا جماعة، جريدة صوت الشعب المعارضة ماذا كتبت؟
(ينتبهون جميعا لما سيقول)
قنديل (يقرأ بصوت مرتفع): "... وقد علمنا من مصادر عليمة، أن شركة مصر الوسطى لحليج الأقطان ستبيع كل محالج القطن الموجودة في المدن في كافة محافظات مصر- لأنها - كما أعلنت الشركة - سبب من أسباب التزاحم المروري، وبسبب خسائر هذا المحالج المتزايدة، والتي أرهقت ميزانية الشركة، ولم تفلح معها

أية محاولات رغم تطوير وتحديث الماكينات، فكان الحل بيع هذه المحالج، والاستفادة من حصيلة البيع في علاج مديونية الشركة المتعثرة.."

محمود (ساخرا): هذا الكلام الذي سمعناه كثيرا من الإدارة.

جمعة: ولكن الجديد فيه أن الشركة ستبيع كل محالج القطن في المدن، وهذا خلاف ما قاله رئيس الشركة من أنه سيبيع محلجا أو اثنين فقط.

قنديل (رافعا صوته): يا جماعة أنا لم أكمل، دعوني أقرأ.. **(يواصل القراءة)** " ونظرا لعدم وجود مشترين قادرين على ضخ المبالغ المطلوبة، حيث اشترطت الشركة بيع كل المحالج في صفقة واحدة، إلا أنه لم يتقدم إلا تحالف من رجال الأعمال، وعرضوا شراء المحالج كلها، على أن يتم سداد المبلغ خلال عامين من تاريخ البيع، وللمشتري كامل الحقوق في الاستفادة من المحالج كما يرى، وطالب بأن يتم تسلّم المحالج بعمالة حسب الحاجة الفعلية لتشغيلها "

بدوي (غير مستوعب): هذا كلام لا يهمنا في شيء، وكما يقولون في بلدنا: جدل مَعلّمين كبار لا دخل للصبيان فيه.

محسن: بالعكس، هذا يؤكد نية الشركة في التضحية بنا، لأن أي مشترٍ لا يريد عمالة كثيرة، وأن الحقيقة أنهم سيضحون بنا جميعا.

قنديل (مواصلا القراءة): ".. وبناء عليه، فإن هذه الصفقة ستستفيد منها الشركة في سداد مديونياتها لديها، كما ستستفيد منها الحكومة، حيث ستأخذ حصة من حصيلة البيع لتمويل عجز الموازنة".

محسن: وهذا معناه أيضا، أن كلام رئيس مجلس الإدارة كذب، لأنه قال سنبيع هذه المحالج، ونقوم ببناء محالج جديدة حديثة. أي أن المال سيطير ولن تكون هناك مصانع لتشغيل العمالة الأصلية أو المؤقتة، والكل سيُفصَل أو يحال للتقاعد المبكر. **(يسكت ثم يكمل)**، وكما قلت لكم، لو أننا تحركنا في مظاهرات وقمنا بالاعتصام في المحلج وفعلت مثلنا باقي المحالج والمصانع، فسنمنع عملية البيع كلها، لأننا نحافظ على حقوقنا ووظائفنا.

محمود: أنا معك، لقد فكرت كثيرا، ووجدت أنه لا فائدة من المعاش المبكر، أنا أول من يخرج معك.

جمعة: وأنا كذلك، ويفعل الله ما يريد.

بدوي (مترددا): وأنا معكم.

(يتحركون ويبدأ محسن في الهتاف وهم من خلفه، ويأتي عمال آخرون يسيرون معهم، وترتفع أصواتهم بالهتاف، الذي يملأ المسرح، ويمتد إلى خارجه)

محسن: - يا حكومة فينك فينك، الحرامية بينّا وبينك.

يا مدير قول الحق، أنت قابض ولا لأ.

(ظلام متدرج، ونسمع أصوات هرج ومرج، وسارينة سيارات الشرطة التي تحاصر المصنع).

المشهد الرابع

(اعتصام عدد كبير من العمال في المصنع)

محسن (متوجها للعمال): اسمعوا يا رجال، سنظل معتصمين هنا حتى تتم الاستجابة لكل مطالبنا، وأولها: عدم إجبار أي عامل على الاستقالة، ومنع مؤامرة البيع، وسيكون مبدأنا في أية مفاوضات: لا للبيع، نعم للتطوير والإدارة الناجحة.

(ترتفع أصوات مؤيدة له، ويدخل مدير المحلج ومعه أحد لواءات الشرطة)

المدير: يا جماعة، لقد جئت لنتكلم قليلا.

محسن: أي كلام؟ لقد تحدثنا كثيرا، بدون فائدة، والنتيجة أننا سنتشرد مع أولادنا بعدما قضينا سنين طويلة في الخدمة.

المدير: غير صحيح، هذه دعاية مضللة، لن يتشرد أحد، هناك أعداد ستبقى وسينتقلون إلى المالك الجديد للمصنع بكل حقوقهم في التأمينات والمعاشات، وهناك مجموعة من العمالة الزائدة، سيتم الاستغناء عنها.

جمعة: هل يمكن سيادة المدير أن تحدد من سيبقى ومن سيرحل؟

المدير: أعدكم أن نعلن هذا قريبا، المهم نفض الاعتصام، ثم نتفاوض.

محسن (هازئا): نفض الاعتصام ونتفاوض، تحرمنا من الورقة التي نمتلكها للضغط عليكم، نحن باقون هنا حتى تلبوا طلباتنا.

(يصرخ) نحن معتصمون لحقوقنا حافظون. (يردد العمال وراءه).

اللواء (يتكلم لأول مرة): ممكن نتفاهم. ما مطالبكم تحديدا؟
جمعة: مطالبنا معروفة يا سعادة الباشا، لا تبيعوا المحلج، وعيّنوا إدارة جديدة، ولا تفصلوا العمال.
اللواء (مبتسما ومتحدثا بشكل موضوعي): لا حق لكم في المطلب الأول، لأن المحلج ملك الشركة، والشركة ملك الحكومة، ومن حق الشركة أن تبيعه أو تبقي عليه، وتم اتخاذ قرار البيع بالفعل معتمدا من وزير الصناعة ومن رئيس الوزراء شخصيا. أما باقي المطالب فيمكن أن نتباحث فيها.
بدوي (متحدثا بنبرة صوتية مختلفة تظهر تأييده للشرطة): طيب، نتباحث في المطالب الباقية يا سيادة اللواء، ماذا سيتم معنا؟
اللواء: لن يتم فصل كل العمال، ستتم إحالة عدد منهم للمعاش المبكر وبناء على رغبتهم.
بدوي (صائحا على غير عادته): الله أكبر، الحمد لله، سيادة اللواء بشّرنا أننا موجودون، ولن يفصلنا أحد.
اللواء: اطمأنوا جميعا، لن يستطيع أحد أن يفصلكم، هذه بلدكم، ولو تم بيع مصنع فهناك آلاف المصانع تملكها الحكومة نستطيع أن نعيّنكم فيها، وكلها على أرض مصر المحروسة، فلا مجال للخوف، وسيشتري المحلج مصريون، يقدمون إدارة متطورة، ومنتجات جديدة.
بدوي (يتقدم ويرفع صوته): الحمد لله، الحمد لله، حقوقنا محفوظة، والحكومة بنفسها ستراعينا.
اللواء: أعدكم جميعا وبوضوح أن حقوقكم محفوظة، من شاء أن يبقى في المحلج عند بيعه مع المالك الجديد سيبقى، ويحظى

براتب كبير لأنه سيكون في القطاع الخاص المعروف بارتفاع رواتبه وحوافزه ومكافآته، ومن شاء أن يظل في وظيفته الحكومية سينتقل إلى مصنع آخر.

بدوي (مهللا بما لا يتناسب مع شخصيته): الله ينصرك يا سيادة اللواء، تحققت كل مطالبنا وزيادة، وأنا من الآن، لن أكون في الاعتصام، ولا في مظاهرة، لأن حكومتنا طيبة، حريصة على مصالحنا.

(يهتف): الله أكبر، عاشت مصر، تحيا الحكومة، الله أكبر، الحمد لله. هيا يا جماعة نحوّل اعتصامنا لمظاهرة في حب مصر، بلدنا تحتاج إلينا وإلى أيدينا.

(يتقدم عدد من العمال ويهتفون معه، يحاول محسن ومحمود أن يتكلما دون جدوى، يتحول الأمر إلى هرج ومرج. وعبر شاشة عرض نشاهد فتح باب المحلج، وتدخل سيارات الشرطة، حيث يتم فض الاعتصام ويخرج العمال من بوابات المحلج، وتُعلَّق لافتات شكر للشركة وللحكومة، وقيادات الشرطة، وتظهر كاميرات التلفاز وميكروفونات الإذاعات، وتلمع عدسات المصورين).

المشهد الخامس

(في مكتب المدير، بدوي يقف بأدب فيما يجلس اللواء "بدير" على مقعد المدير، ويقف كل من مدير المصنع ومعه الضابط " مأمون " وهو برتبة مقدم)

المدير: الحمد لله يا سعادة الباشا، فشل هذا التمرد، واستطعنا القضاء عليه.

اللواء (بعنجهية وسخرية): للأسف أنتم بدون الشرطة والقيادات الأمنية لا تستطيعون حل أي مشكلة، عندما تدخلت أنا بنفسي تم انفضاض الاعتصام، بل وتحول إلى مظاهرة تأييد للحكومة والنظام كله. فعلا البلد من غيرنا صفر.

المدير (متجاهلا الإهانة): لا بركة إلا بكم يا سيادة اللواء، وإن شاء الله سنرى جهودكم ناصعة في صحف الغد، وفي محطات التلفزيون.

اللواء (ناظرا للمدير، راغبا في انصرافه): أين كرمك يا مدير المحلج؟ لا شاي ولا قهوة ولا عصير. (**بخبث**) حسب معلوماتي فإنك ستنقل إلى منصب أكبر في الشركة، لأنك تعاونت منذ البداية مع الشركة والشرطة.

المدير (متحركا): آسف يا سعادة الباشا، الفراشون هنا متغيبون بسبب المظاهرات، وأنا سأتصل بنفسي بأكبر مطاعم البلد، لإكرامكم.

اللواء (بسخرية مستترة): شكرا لك، حسب معلوماتنا فإن مصاريف مكتبك والسكرتارية حوالي مئة ألف جنيه في العام، بالرغم من أنه محلج خسران.

المدير (خارجا): كل شيء من خيرات الحكومة، ربنا "يخليها" ويديم النعمة.

(يخرج المدير، ويتوجه اللواء إلى الضابط وبدوي مستغلا الفرصة)

اللواء (متوجها لبدوي): بصراحة، كانت جهودك طيبة يا بدوي، وأنا سعيد بك كثيرا، فعلا كنت رجل الموقف.

بدوي (غير مستوعب للجملة الأخيرة): أملنا رضا سعادتكم علينا، أنا قمت بالواجب، وربنا يخلي الحكومة لنا.

اللواء (ملتفتا إلى الضابط، متحدثا بصيغة الأستاذ المعلم): هذا هو الشغل السليم، نختار العناصر المناسبة لتتعاون معنا، ويكونون سببا في نجاح جهودنا، بدلا من أن نكون مجبرين على التعامل مع أشخاص لهم انتماءات شيوعية أو يسارية، يتفلسفون علينا، وإذا قبلنا شروطهم فهو انهزام لنا، وإذا قبضنا عليهم، نتعرض لهجوم المعارضة وجماعات حقوق الإنسان. هناك في كل موقع عناصر وطنية يمكن الاستفادة منها، وعلينا أن نكتشف هذه العناصر.

الضابط مأمون (مؤكدا): كلام سعادتك مضبوط، ولكن هؤلاء المتعاونين لهم طلباتهم، فهم لا يعملون لله. فبدوي مثلا خرج من هذا "المولد" بحمّص وحلويات ولحم.

اللواء بدير: يا حضرة المقدم، لابد أن تكون هناك منفعة لكل المتعاونين معنا، حتى زعماء العمال المتمردين، يتظاهرون من أجل مصالحهم الخاصة. الذكاء في اختيار الشخصية التي يمكن أن تخدمنا، وتستفيد في صمت.

اللواء (مشيرا لبدوي بالخروج): شكرا لك يا بدوي.

بدوي (يظل مكانه): الشكر لله يا باشا. وأرجوكم لا تنسوني أنا والعمال الذين كانوا معي في الوظائف الجديدة.
اللواء: كلامنا واحد يا بدوي، أنت الآن رجلنا، وسنحتاجك في المستقبل، وطمئن العمال معك، كل من ساهموا في فض هذه المهزلة، لن نسى جهودهم.
بدوي (بثقة): أحب أن أوضح لسعادتك أنني عامل غير مثبت، يعني على بند المكافأة، ليتكم تثبتوني في وظيفة.
الضابط: نعرف هذا يا بدوي، سنثبتك في وظيفة بالشركة، فنم واطمئن، صرت موظفا رسميا.
بدوي (رافعا يديه): الحمد لله، هذا فضلٌ كبير من الله، أنا خادم السيادة.
اللواء (يشير إليه بالخروج مرة أخرى): "خلاص" يا بدوي.
(يخرج بدوي، ويلتفت اللواء إلى مأمون)
اللواء بدير: هذا الولد يمكننا أن نستفيد منه لأنه كتوم، وينفذ المطلوب بذكاء، وقد استطاع أن يحشد عددا كبيرا من العمال معه، لإنهاء المظاهرات.
مأمون: توجيهات سعادتك سديدة، ولاشك أنه سيكون عونا لنا في أي مكان يعمل فيه، خصوصا مع تجمعات العمال.
اللواء بدير (بغموض): ويمكن أن نستفيد منه في أماكن أخرى.

المشهد السادس

(محسن ومحمود وجمعة، يجلسون على مقهى، بملابسهم العادية)

محسن (مواصلا كلاما كان قد بدأه):.. وبعد سبعة أشهر، هذا هو مصيرنا يا جماعة، من مقهى إلى مقهى، حياة مملة، نتحسب الغلاء كل يوم لأن معاشاتنا الثابتة محسوبة بالكاد على أسعار متغيرة.

محمود (بحسرة): دائما الحكومة هي الرابحة، وأبناء الشعب المخلصون هم الخاسرون، ومن لعب مع الحكومة استفاد.

محسن: تقصد أمن الدولة؟

محمود: الحكومة أو أمن الدولة، كلاهما عنوان لفيلم واحد.

محسن: كلامك صحيح، وكل من تعاونوا مع الأمن ظلوا في وظائفهم.

محمود: لماذا لم ننتبه إليهم؟ هؤلاء طعنونا في مقتل.

محسن: نعم طعنونا، وتحول اعتصامنا في وسائل الإعلام إلى تمرد فئة خارجة على القانون والنظام، ثم عادت إلى نداء العقل واحترام سلطة الدولة، بل وخرجت في مظاهرة تأييد للرئيس نفسه.

جمعة: يا جماعة الخير، نحن لم نخطئ في شيء، كنا نتعامل بحسن نية، ندافع عن حقوقنا وحقوق زملائنا، ولا تنسوا أننا فوجئنا بمواجهة الحكومة، وليست الشركة فقط، ولم نتوقع أن تتصاعد الأمور إلى هذه الدرجة.

محمود: وماذا كانت النتيجة؟ كل من تعاون ورضخ للأمن بقي

في المحلج، أو انتقل إلى محلج آخر، أما نحن فقد خرجنا بـالإكراه إلى معاش مبكر، بمكافأة نهاية الخدمة القانونيـة، وضـاعت كـل وعودهم عن تحقيق رغبات العمال.

جمعة: المسألة أكبر منا بكثير، فدخول أمن الدولـة في الموضـوع دليل أنه أكبر من حجمنا وحجم الشركة.

محسن: خصوصا أننا سمعنا أن رجل الأعمال الذي اشترى المحلج مقرب من الناس الكبار في القاهرة.

(يدخل قنديل ومعه عدة صحف ومجلات)

محمود (يبادره): أهلا بالمثقف القارئ.

قنديل: عندي أخبار نار.. وشكرا على سخريتك يا عـم محمـود، القراءة هي الهواية الوحيدة التي لا أملّ منهـا، وهـي سـلوتي في بطالتي الحالية، ولا تنـسوا أنـني آتي لكـم بالجديـد في الأخبـار المنشورة وغير المنشورة.

جمعة (ضاحكا): وماذا عندك يا وكالة الأنباء؟

(يجلس قنديل وينادي على النادل، الذي يـأتي، فيقـول متوجهـا لمحمود)

قنديل: اطلب لي قهوة مضبوطة على حسابك.

محمود (للنادل): هات له قهوة مضبوطة على حسابي.

قنديل: مادمت حققت رغبتي، فسأبوح بما عنـدي. اسـمعوا أولا **(يمسك بصحيفة)** ما ذكرته صحيفة الـشرفاء المعارضـة ؛ فالـذي يقف وراء الصفقة الكبرى لبيع محـالج مـصر هـو نجـل رئيـس الجمهورية.

محسن (صارخا): معقول! ابن الرئيس، قـالوا إنهـم مـستثمرون مصريون.

قنديل: نعم، صدق، وهم ليسوا مستثمرين مصريين فقط، إنهم تحالف مصريين وأجانب، دفعوا حوالي ستمئة مليون جنيه مصري لشراء محالج القطن في المدن المصرية.

جمعة: ياه، مبلغ كبير.

قنديل: هههههه، كبير؟ بل مبلغ تافه، فالخبراء يقدرون الصفقة في سعرها الحقيقي بحوالي ثلاثة مليارات، ولكن الحكومة قالت إنها باعت المحالج بشرط حفظ حقوق العمال فيها والحفاظ عليها لتخدم الصناعة الوطنية، وقالوا إن ألمانيا الغربية كانت تبيع المصنع بمارك واحد فقط بشرط الحفاظ على المصنع والعمال والإنتاج، خاصة أن شركتنا تحوّلت إلى حلج القطن قصير التيلة المزروع الآن في مصر وليس طويل التيلة.

محمود: آه صحيح. وماذا حدث بعد ذلك؟

قنديل: أعلن تحالف المشترين أنهم سيقومون بنقل المحالج إلى خارج المدن من أجل نظافة البيئة وتسهيل عملية المرور.

جمعة: أشك في هذا الإعلان، هذه الشخصيات لا تعرف شيئا اسمه مصلحة الوطن ولا نظافة بيئته.

قنديل: وماذا بعد؟ لقد بدأوا بالفعل في تفكيك المحالج، ونقلوها إلى أراض صحراوية خارج المدن.

محسن: لقد مررت أمام المحلج منذ شهرين، ورأيته مغلقا.

محمود: هو مغلق منذ الأحداث، والعمال الباقون في البيوت يحصلون على الراتب الأساسي بدون حوافز لحين تشغيل المحلج.

قنديل: اسمعوا المزيد، لقد طرحت الشركة أراضي المحالج للبيع كأراض بناء، وبالفعل تقدمت شركات عقارية لتقسيم الأراضي لشرائها، وتم بيعها بالفعل لإحدى شركات المقاولات الكبيرة التي

ستحولها لأبراج عالية.
جمعة (ضاربا كفا بكف): ياه، هذا آخر ما توقعناه.
قنديل: والغريب أن المشتري لهذه الأراضي هي شركة عقارية تابعة لابن الرئيس أيضا.
محسن: يعني الخير يدور ويرجع لهم.
قنديل: ويعني أيضا أن الحكومة كانت تعلم بأبعاد الصفقة، لذا تدخل أمن الدولة بنفسه لحسم الموضوع. ويكفي أن ثمن الأرض عشرين ضعفا على ثمن المحلج. وفي صفقة واحدة ربح ابن الرئيس عشرين ضعف المبلغ الذي دفعه.
محمود: وماذا عن الماكينات والمحالج؟
قنديل: لقد بنوا بالفعل محالج جديدة خارج المدن، ووضعوا فيها الماكينات، والمعلومات تقول إن المحالج ستعرض للبيع، لأن ماكيناتها جديدة، بمبان جديدة، بعمال كافيين دون زيادة، وأيضا هم عمال خبرة لأنهم عملوا سنوات على هذه الماكينات وفي صناعة حليج الأقطان.
محسن: وطبعا سيبيعون المحالج الجديدة وهم رابحون منها.
قنديل: حسب تقديرات الخبراء، فإنهم سيبيعون هذه المحالج بثلاثة أضعاف ثمن الشراء لأنها محالج جديدة بعمالة مصرية ماهرة ورخيصة وذات خبرة.
جمعة: حسبنا الله ونعم الوكيل، وهكذا تتآمر الشركة مع أبناء الرئيس لبيع لحم الوطن والغلابة.
قنديل (مغادرا): أترككم الآن..
جمعة: إلى أين أنت ذاهب؟ وماذا وراءك؟
قنديل (بثقة): أنا ذاهب لعمل جديد.

محمود: وماذا ستعمل أيها المثقف القارئ؟ وتترك الجرائد والمجلات لمن؟ وكما تقول لنا إنك تقرأ كل يوم خمس ساعات.
قنديل: سأتركها، وأعود إليها حسب وقت الفراغ.
جمعة: وأين ستذهب؟
قنديل: قدّمت أوراقي في مصنع ملابس جاهزة في مدينة 6 أكتوبر، وقبلوه.
محسن: وماذا ستعمل فيه وأنت لا تعرف إلا حليج الأقطان؟
قنديل: على خط إنتاج ملابس قمصان أو بنطلونات، أي شيء المهم أن نعمل، طلبات العيال لا ترحم، والمعاش يتلاشى بعد عشرة أيام، ومكافأة نهاية الخدمة طارت.
جمعة: الحمد لله أنك وجدت شغلة جديدة.
قنديل: الحمد لله أولا ثم للواسطة ثانيا وجاءت الواسطة من ابن عمي العامل في المصنع، وهو يقول لي إنهم يصنعون ملابس للتصدير فقط.
محمود: بالسلامة يا عم، وإن شاء الله نسمّيك قنديل التصدير.
قنديل: مقبولة منك يا عزيزي، السلام عليكم..
(يردون السلام، يمضي قنديل ثم يعود فجأة)
قنديل: عفوا يا جماعة، نسيت أن أقول لكم خبرا غير منشور.
(انتبهوا جميعا)
قنديل: هل تذكرون بدوي العامل؟
محسن: طبعا، وكان أحد المتعاونين مع أمن الدولة، والمسكين كان شغالا بعقد مؤقت، ومع ذلك رضخ لهم.
قنديل: أنت المسكين، لقد كافأوه بتثبيته في الشركة، بعشر سنوات خبرة منذ بداية عمله في المحلج، وبعدها عرضوا عليه أن

يتقاعد فوافق على معاش تقاعدي، ودفع خمس سنوات للتأمينات والمعاشات، وتم تقاعده على خمس عشرة سنة، وأخذ مكافأة التقاعد؛ حوالي عشرة آلاف جنيه، مع معاشه الشهري.

جمعة: ياه، كل هذا!

قنديل: والجميل أيضا، أنهم عيّنوه في الأوقاف مقيم شعائر، لأنه يحفظ ربع القرآن الكريم، وصوته حلو في الآذان.

رددوا جميعا وهو يضربون كفا بكف: صوته حلو!!

محمود (ساخرا): الله يرحمنا برحمته، بدوي الغلبان ذو الجلباب المقلم، والطاقية الصوف يأخذ كل هذا!

محسن: لقد ساعدهم كثيرا وقت الاعتصام وفي المظاهرات، وأنا اكتشفت أن الولد هذا لسانه حلو، ولكنه كان يتظاهر بالمسكنة أمامنا لأننا أقدم منه، ورؤساؤه في المحلج.

جمعة: واستطاع أن يقنع معظم العمال أن يسمعوا كلام الحكومة.

محمود: والغريب أننا وثقنا فيه أكثر من اللازم.

محسن: كنا معذورين، لم نكتشف حقيقته إلا متأخرا، وبعد إنهاء الاعتصام، عندما رأيناه يدخل مع اللواء والضابط والمدير في المكتب، ويخرج، يمشي بين العمال متكبرا ضاحكا.

قنديل: وهو الآن يأخذ راتبا جديدا في الأوقاف، بالإضافة لمعاشه القديم من المحلج.

محسن (ضاحكا): غير عمولته الشهرية من أمن الدولة، فمن ذاق لحم الحكومة لن يقبل أن يأكل فجل الشعب.

(إظلام، وموسيقى عسكرية، ذات وقع جنائزي)

الفصل الثالث

(كشك خشبي على ناصية شارع في حي شعبي، يباع فيه أغراض مختلفة للبقالة، وبدا بالقرب منه بيوت سكنية، ومسجد من بعيد)

المشهد الأول

(نرى "بدوي" جالسا على كرسي أمامه، مدخنا سيجارة، ونشاهد ابنه إبراهيم داخل الكشك)

بدوي (مناديا): إبراهيم، يا ولد.

إبراهيم: نعم يا أبي.

بدوي: كم إيراد اليوم؟

إبراهيم (يعد الموجود في حصّالة الكشك): الإيراد ثلاثون جنيها.

بدوي (بقرف): فقط! ا

إبراهيم: الزبائن هنا يشترون بالجنيه ونصف الجنيه، يعني سيجارة، بسكويت، كيس مكرونة، رغيفين خبز، والعيال طول اليوم يشترون الحلويات و"الشيبس" والبيبسي.

بدوي (متضايقا): ناس بخلاء، طلباتهم حسب ساعتهم.

إبراهيم: يا أبي، مكان الكشك هنا غلط، حولنا دكاكين بقالة، والناس تشتري منها، لأن فيها بضاعة كثيرة.

بدوي (بعصبية): أنت حمار، تشتغل هنا وأنت ساكت، أنا أختار المكان على كيفي، لا دخل لك، أنسيت أنني مقيم شعائر في هذا المسجد؟ **(يشير إلى المسجد القريب)**، فسهل عليّ أن أتابع الكشك بين الصلوات.

إبراهيم (بحرج، محاولا استيعاب ثورة والده): قلت لك رأيي يا أبي، فمكان الكشك بعيد عن بيتنا، وأنا أضرب مشوارا طويلا كل يوم، حتى أحضر هنا.

بدوي (صارخا):وأنا أعطيك خمسة جنيهات يومية لك، ولك الاختيار: تركب مواصلات، أو تسير على قدميك، ولكنك بخيل

مثل أمك.
إبراهيم (يتساءل ببراءة): لماذا تركت مسجدك القديم وانتقلت إلى هذا المسجد؟ المسجد القديم كان قريبا من بيتنا.
بدوي: صدعت دماغي، أنت كثير الكلام مثل أمك، إدارة الأوقاف هي التي نقلتني، وأنا في النهاية موظف في الحكومة، يعني العبد المأمور.
إبراهيم (مغيرا الحديث، وهو يتذكر شيئا): آه، سألك عنك اليوم عم محمود.
بدوي (منتفضا): ولماذا لم تخبرني؟ ومتى سأل؟
إبراهيم: كنت سأخبرك. وقد سأل عنك قبل آذان العصر.
بدوي (واقفا): وأين ذهب؟ ألم يقل لك شيئا؟
إبراهيم: لا أعلم أين ذهب.ولكنه قال لي: أخبره أن يقابلني ضروريا اليوم.
بدوي (مغادرا): سأبحث عنه.
(قبل أن يتحرك بدوي، يأتي محمود وهو رجل أبيض الشعر، يرتدي جلبابا بلديا واسعا، جامد الملامح، ويبدو أنه كان يدور في الشوارع المحيطة، وإن بدا عليه المكر، وهو رئيس لمرشدي الأمن)
محمود: كيف حالك يا بدوي؟
بدوي: نحمد ربنا، ونبوس أياديكم.
بدوي (مناديا على إبراهيم): هات عصيرا يا ولد.
محمود (متناولا زجاجة العصير، وناظرا إلى إبراهيم نظرة ذات مغزى).
بدوي (يشير لابنه): اذهب واشتر "باكيت" سجائر كبير، وتأخرْ

قليلا، لأني أريد عمك محمود في موضوع مهم.
إبراهيم (يغمغم وهو يغادر): كلما جاء عم محمود، فعليّ أن أذهب.
محمود: ماذا عندك يا بدوي؟
بدوي (هامسا): كل شيء تمام، وأنا من الساعة السابعة صباحا إلى الواحدة صباحا في الكشك، وعيني على البيت.
محمود: أسألك عن الجديد، عندك أخبار جديدة عن الشيخ محسوب؟
بدوي: الشيخ محسوب من البيت إلى المسجد، وأنا في المسجد أؤذن وأقيم الصلاة، وهو يصلي مع الناس، وعيني عليه حتى يرجع إلى بيته.
محمود: أنت غبي يا بدوي، لقد فهّمتك كل شيء.
بدوي (مبتسما): أنا فاهم كل شيء والله العظيم، ولكن أحببت أن أخبرك أن لا غريب قابله الشيخ، وأنا عيني عليه وعلى كل شخص يدخل في بيته.
محمود: ولكننا علمنا أن هناك غريبا زاره.
بدوي: متى هذا؟
محمود: أمس، لذا جئت اليوم لك.
بدوي: من هو؟
محمود: ولد صحفي من المعارضة، تسلل ودخل البيت وقابله وأجرى معه حديثا صحفيا، والحديث سينشر غدا.
بدوي: ابن الكلب، كيف دخل؟ وأنا ليل نهار هنا.
محمود: أعرف، أثناء آذانك في المسجد، تسلل ودخل. **(يسكت وينظر له)** عندنا عيون ثانية في الحي، وهم يراقبون من بعيد،

وأنت هنا تراقب من قريب، ولا أحد يشك فيك، لأنك مقيم الشعائر في المسجد، والشيخ نفسه لا يشك فيك لأنه ضرير ولا يعرف شيئا عنك.

بدوي: أنا خدامكم. ولكن مادام هذا الشيخ يضايقكم، اقبضوا عليه، وأريحونا.

محمود: هذا الشيخ له شعبية كبيرة، ونحن نراقبه فقط في الوقت الحالي، وليس لدينا أوامر بالقبض عليه، نريد أن نعرف كل من يزوره، ويستمع إليه، ويسأله، وسنحاسبه في الوقت المناسب.

بدوي: ولكنه يخطب في المسجد والناس تحب سماعه، وأهل الحي يتأثرون به.

محمود: نعرف هذا، ولكننا ننتظر أن نحبك له "تحبيكة" مرسومة، حتى نصطاده بالقانون، ولا تفرج عنه النيابة، ويرجع قدام الناس "كأنه شمروخ وبطل"، ونخسر بعد ما كسبنا.

بدوي: وماذا أفعل وأنا غائب في المسجد لإقامة الصلوات.

محمود (بخبث): بسيطة، ابنك يقوم بالمهمة.

بدوي: ابني!

محمود: نعم، وأنا عرفت أنه يصعد إلى بيت الشيخ، يعطيهم طلبات من الكشك، ما رأيك أن نفهمه أن يراقب أي غريب يأتي للشيخ، ويخبرنا بما يراه في بيت الشيخ؟

بدوي: هو صغير يا "بيه".

محمود: وهذه هي الميزة، لن يشك فيه أحد.

بدوي (مفكرا): ستزيد "الحلاوة" بهذا الشكل، لأنني أعمل أنا وابني.

محمود (متجهما): عيب تقول هذا الكلام يا بدوي، أنت تخدمنا من عشرين سنة، ونحن خدمناك بأكثر مما تحلم، وإلا كان مصيرك الآن خادما في مقام الشيخ "أبو سبيحة"، تنتظر سندويتشات الأرز، وتسرق من صندوق النذور.

بدوي (بابتسامة اعتذار): أنا أضحك معك يا محمود بيه.

محمود: وأنا أضحك معك يا بدوي.

(ينصرف محمود، فيما يأتي إبراهيم حاملا باكيت السجائر، يقابله والده، ويبتسم له بطريقة لطيفة، ويتحدث معه بشكل ألطف)

بدوي: هل اشتريت ما طلبته منك يا إبراهيم؟

إبراهيم (وهو يجلس في الكشك): نعم يا أبي.

بدوي: هل تزور بيت الشيخ محسوب؟

إبراهيم: نعم، وأعرف أهله. الشيخ رجل طيب، وكلامه يرطّب القلب، لذا يحبه كل أهل الحي.

بدوي: وأين سمعته؟

إبراهيم: من ميكروفون المسجد، عندما يلقي الدرس، وعندما يقابله الناس في الشارع ويسألونه، فهو شيخ الحي هنا.

بدوي (بهدوء): الشيخ عالم كبير، وهو ساكن في الحي منذ زمن.

إبراهيم: الناس تقول هنا إن هذا المسجد كان تابعا للأهالي، وضمته وزارة الأوقاف منذ شهور.

بدوي: صحيح، والوزارة تضمه، فتجعل له خادما وخطيبا ومقيم شعائر.

إبراهيم: ويقولون إن سبب ضمه ؛ أن تسيطر الحكومة على المسجد، وتمنع الشيخ محسوب من الخطابة فيه.

بدوي: هذا كلام كبير علينا يا بني (**يربت عليه**) نحن يا بني "ناس غلابة"، لا دخل لنا في هذا "الموّال"، والحكومة في النهاية تعرف مصلحة الشعب.

إبراهيم: كما ترى يا أبي.

بدوي (يعود للتساؤل برقة مصطنعة): وهل تعرف كل من يقابل الشيخ؟

إبراهيم (متعجبا): لماذا تسألني؟

بدوي (معللا بإقناع): هذا شيخ المسجد عندي، وأنا أحبه، وأحب كلامه الطيب، ويا ليت تكون معه دائما، تقضي حوائجه، صحيح أنه ممنوع من الخطابة، ولكنها فترة مؤقتة، وسيرجعونه مرة ثانية.

إبراهيم: يا ليت يا أبي، خصوصا أن الشيخ كفيف ويحتاج من يوصله لبيته أو للمسجد، ويقضي حوائجه.

بدوي (منتبها ومبتهجا): والله فكرة يا إبراهيم!

إبراهيم: أي فكرة؟

بدوي: أن تلازم الشيخ وتكون مساعدا له، وأنا أعلم أنه لديه ابنتين فقط، ويعتمد على أهل الحي في توصيله للمسجد.

إبراهيم (غير مصدق): ولكنني سأترك الكشك.

بدوي (ناصحا): الثواب أهم من المال والتجارة، وأنا سأسدّ مكانك، أو أغلق الكشك عندما لا أكون موجودا، وسأزيد يوميتك لتكون سبعة جنيهات لا خمسة.

إبراهيم: جزاك الله خيرا يا أبي، هو شيخ طيب، ويحبه الناس كلهم.

بدوي: وأنا أحبه أيضا، ويا ليت تحكي لي عما تسمعه وتراه مع

الشيخ محسوب، فهو رجل بركة وتقوى.

إبراهيم: ولكنني أتساءل يا أبي: لماذا منعوه من الخطابة يوم الجمعة؟

بدوي: هذا من الحكومة، لأن الشيخ صريح، ويهاجمها، ولكنهم سمحوا له بالدروس بعد العصر أو العشاء.

إبراهيم (بإعجاب): والله يا أبي، كلامه يرقق القلوب، ويأخذنا لعالم آخر.

بدوي (متظاهرا بالتقوى): هدانا الله للخير والهدى.

(إظلام تدريجي، نسمع فيه صوت الشيخ محسوب، قويا جهورا، منددا بالنظام الحاكم، الذي يمالئ اليهود والأمريكان، ويقول إنه لا يخشى المنع ولا الاعتقال)

المشهد الثاني

(مكتب أمن الدولة، حيث يجلس اللواء خلف مكتبه وأمامه الضابط مأمون، ويقف محمود المرشد)

اللواء بدير(متوجها إلى محمود):كل المعلومات التي تأتي بها إلينا لا أهمية لها.

محمود (متفاجئا): يا سعادة الباشا، هناك عيون كثيرة تراقب الشيخ محسوب، ليلا ونهارا، ونعرف كل صغيرة وكبيرة عنه، وأنا أبلّغكم بكل شيء.

مأمون (مكملا):ونجحت فكرة بدوي، أن يلازم ابنه إبراهيم الشيخَ في حركاته من صلاة الظهر إلى العشاء،أما صلاة الفجر فيقوم بدوي بإحضار الشيخ من بيته.

بدير: وهل عرف ابن بدوي مسألة المراقبة؟

محمود: لا طبعا يا باشا، الولد يحكي لأبيه كل شيء، وأبوه يكتب تقاريره لنا. وقد استطاع بدوي أن يعرف كل تحركات الشيخ ومعارفه من ابنه، خصوصا أن الشيخ بات يحب الولد، ويقرّبه منه.

مأمون: المسألة كلها في إطار من السرية، وأتباع الشيخ غير واعين.

بدير (يهز رأسه): طيب يا محمود، اذهب أنت الآن، وأي جديد أخبرنا به.

(يخرج محمود، ويتطلع اللواء للضابط)

بدير: سيادة الوزير يرى أن ما نفعله لا فائدة منه، ونريد منع انتشار الشيخ.

الضابط (مستغربا): كيف يكون هذا يا سعادة الباشا؟
بدير: الشيخ ممنوع من الخطابة، ومع ذلك فإن أحاديثه يسمعها الناس في شرائط كاسيت، أو يحضرون دروسه ويسجلونها بأنفسهم.
مأمون: نمنعه من الدروس أيضا، ومن النزول للصلاة، ولو أراد الوزير أن نعتقله فليكن، وسيكون تحت أعيننا.
بدير: هذا سهل بقانون الطوارئ، ولكن التجربة أثبتت أن كل إجراءات المنع تزيد من شعبية الشيخ.
مأمون (بغموض): تقصد سيادتك أن نعد خطة أخرى للتعامل مع الشيخ.
بدير: ما الهدف النهائي مما نفعله؟ الإجابة: أن نحدَّ من شعبية الشيخ، والتفاف الناس حوله، لأنه يروّج في كلامه أفكارا ضد نظام الحكم.
مأمون: علينا أن نفكر في خطة محكمة، فكل ما يقوله الشيخ غير مدان عليه وقد أخذ البراءة في أكثر من قضية لأن هذا يدخل في باب حرية الرأي.
اللواء: هذا شيخ ملعون. **(يتذكر)** في آخر محاكمة له، كنت حاضرا، والشيخ ترافع بنفسه في المحكمة، واعتبر أن كل ما يقوله لا يعتبر تطرفا ولا إرهابا وطلب رأي الأزهر لو أن فيه ما يخالف الإسلام.
مأمون (مجاملا): كل كلام سيادتك مضبوط.
بدير: لذا، أنا فكّرت في فكرة، يمكن أن تكون أساسا لخطة، وأعتقد أنها سترضي الوزير وتحقق ما يريد.
مأمون: فكرة؟

بدير: نعم، أساسها تشويه الشيخ أخلاقيا.
مأمون (مبتسما): تقصد أن نـدس عليـه امـرأة، وتكـون قـضية آداب.
بدير: هذه فكرة ساذجة، ولن يصدقها عاقل.
مأمون: وما فكرة سعادتك؟
بدير: بسيطة، نروج بين النـاس، وفي الـصحف، أن الـشيخ أتتـه أموال كثيرة من دول الخليج، وهو ثري، ومع ذلك يصدعنا طوال الوقت بالتقشف، وأن نساعد الفقـراء والمحتـاجين، في حـين أنـه يموّل مجموعات متطرفة.
مأمون (مثنيا): فكرة عظيمة.
بدير: المهم أن تكون بداية لقضية رأي عام، ثم إدانة للشيخ.
مأمون: وكيف ننفذ هذه الخطة؟
بدير: هذا شغلك أنت ومن معك، عليك أن تضع تصورا للتنفيـذ وتبلغني به.
الضابط: إن شاء الله يا سعادة الباشا.

المشهد الثالث

(مكتب أمن الدولة، اللواء بدير على طاولة اجتماعات، ومعه عدد من الضباط منهم مأمون)

بدير: قرأت الخطة التي قدمتموها، ولي ملاحظات عليها.

مأمون: ونحن نتعلم منك.

بدير: قلتم إن الخطة تبدأ بحملة في الصحافة بأن الشيخ يتلقى تمويلا من الخليج، وهذا جيد، ولكن ما مستندات الحملة الصحفية؟

مأمون: نبدأ الحملة، والمستندات سهلة.

بدير: أريد أن تكون أصول المستندات في بيت الشيخ نفسه، وننشر الصور، وتكون الصحافة معنا عندما نقتحم منزله، حتى لا تتهمنا صحف المعارضة بالتلفيق، ولابد من استصدار أمر من النيابة، نريد إجراءات قانونية.

ضابط 1: ونضع أسلحة معها حتى يكون تنظيما مسلحا.

بدير: لا أريد الطريقة التقليدية، نكتفي بالمال، ونضع الحوالات في بيت الشيخ نفسه ومعها عملات مختلفة.

ضابط 2: وكيف سنضعها في منزل الشيخ؟

مأمون: سندبر هذه المسألة.

بدير: المهم أن تعد النقود جيدا، فإنني لا أثق في مخبرينا ولا عملائنا.

مأمون: اطمئن يا افندم من هذه الجهة.

بدير: نأتي للشق الثاني من الخطة.

ضابط 1: الموضوع سينتهي بالقبض على الشيخ متلبسا.

ضابط 2: وستتم محاكمته.
بدير: الأهم عندي السعي لعمل حملة إعلامية مكثفة، تروج أن الشيخ ثري، ويقبض أموالا لتحفيظ القرآن، ولا ينفقها، بل لديه تنظيمات معادية للدولة.
مأمون: هذه مهمة رجالنا في الصحافة والتليفزيون.

المشهد الرابع

(أمام الكشك، بدوي مع ابنه إبراهيم وقد ارتدى الابن جلبابا أبيض طويلا، ونبتت سوالف لحيته)

بدوي (متأملا ملابس ابنه): ما هذا الذي ترتديه؟

إبراهيم: مثل الشيخ محسوب، جلبابا أبيض.

بدوي: طلب الشيخ منك هذا.

إبراهيم: أبدا، ولكنني أحببت أن أكون مثل أتباع الشيخ.

بدوي (بسعادة): ربنا يهديك يا بني.

إبراهيم: والشيخ يحبني، وينادي عليّ من الشباك لو أراد طلبا.

بدوي: لك الثواب يا إبراهيم. هل سيلقي الشيخ درسا اليوم؟

إبراهيم: تقصد درس المغرب.

بدوي: نعم، حتى أكون متواجدا معه.

إبراهيم: هو مسافر لقريته اليوم، ولا أعرف متى سيعود.

بدوي: من يطبع شرائط الكاسيت للشيخ؟

إبراهيم (متفاجئا): أنت سألتني هذا السؤال من قبل، ولم أعرف، لكنني عرفت أمس أن المسؤول دائما هو الأخ عبد السلام محجوب. لماذا هذا السؤال يا أبي؟

بدوي (بحنكة): لأنني أسمع شرائط غير واضحة الصوت، وفيها خرخشة وأصوات عالية، وأريد أن أوصي بحسن التسجيل.

إبراهيم (مقتنعا): يبدو أن من سجّله كان بعيدا عن الشيخ. لأن الأخ عبد السلام يضع " المايك " في جيب الشيخ.

بدوي (يخرج مظاريف عليها أختام بريدية): بالمناسبة

يا إبراهيم، هذه خطابات وصلت للشيخ محسوب اليوم، وأنا تسلمتها من الساعي، أعطها له.

إبراهيم: ولكن الشيخ غير موجود اليوم، سافر لقريته كما قلت لك.

بدوي (متفكرا): هذه أمانة يا بني، لابد من توصيلها.

إبراهيم: ننتظر عندما يعود الشيخ.

بدوي: لا، اصعد أنت، وأعطها لأهل بيته، وقل لهم يضعونها في غرفة الشيخ

إبراهيم: أخاف أن يحرجوني، ويرفضوا استلامها.

بدوي: لا إحراج فيها، هذه مظاريف من البريد، وعليها الأختام، واسم الشيخ والعنوان عليها.

إبراهيم (مقتنعا): سأفعل يا أبي.

بدوي: أسرع يا إبراهيم، لأنني سأعود للبيت، مادام الشيخ غير موجود في درس اليوم، أريد الراحة لأنني متعب.

إبراهيم: سلامتك يا أبي.

بدوي: سأنتظرك يا بني، لتذهب معي.

(ينصرف إبراهيم، فيما يغلق بدوي الكشك، ويتهيأ للانصراف، ثم يعود الابن، مبتسم الوجه)

بدوي (مستقبلا ابنه): خيرا يا بني.

إبراهيم: كما قلت لي، شاهدت زوجته الخطابات، وعليها اسم الشيخ والعنوان، وشكرتني، وقالت سأقرؤها للشيخ عندما يعود.

بدوي: بارك الله فيك، لابد أن تصل الأمانة لأصحابها.

إبراهيم: طبعا يا أبي.

(إظلام متقطع، وموسيقى تشعرنا بمرور وقت طويل نسبيا، ثم يضاء المسرح، على سيارات شرطة، ومعها عدسات مصوري الصحف ومحطات التلفاز، ثم يهجمون على منزل الشيخ، وتظهر عناوين الصحف تحمل أنباء القبض على شبكة كبرى بزعامة الشيخ محسوب، خليجية التمويل، ظاهرها تحفيظ القرآن وباطنها دعم مجموعات لقلب نظام الحكم، وتنشر صور الحوالات المالية).

المشهد الخامس

(مكتب أمن الدولة، اللواء بدير واقفا، ومعه عدد من الضباط منهم مأمون، وأمامه عدة صحف، وجهاز التلفاز مفتوح على محطة فضائية خاصة)

بدير (مكفهر الوجه): أنتم أغبياء جميعا، فشلت الخطة كلها.

مأمون (بخجل): لقد نفذنا ما هو مطلوب خطوة خطوة.

بدير (صائحا): أسأتم اختيار العناصر المنفذة.

ضابط 1: يا باشا، لا خطأ منا، ولكنه حرص من الشيخ.

بدير: لقد ظهرنا أمام الإعلام أننا كذابون، وانقلبت علينا صحف المعارضة، وكذلك صحف الحكومة، بعدما تورطتْ بنشر ما ذكرناه لهم.

ضابط 2: كان ينبغي الانتظار، حتى نرى قرار النيابة، قبل النشر.

مأمون: أي نيابة تنتظر؟ لقد رفض وكيل النيابة القبض على الشيخ أساسا.

ضابط 1: لأنه لم يجد شيئا في المنزل بعد التفتيش.

بدير: أغبياء، وضعتم خطة فاشلة، انتظروا نقلكم جميعا، وأنا أوّلكم.

مأمون: النقل!

بدير (بقرف وهو يعرض بعض عناوين الصحف): لقد اتصل بي مدير الإدارة في القاهرة، وشتمني لأن صحف الحكومة نشرت خبر القبض، وفي اليوم التالي نشرت تصحيحا للخبر، أما جرائد المعارضة فقد استهزأت، في حين أكلت القنوات الفضائية الخاصة وشربت على ما حدث.

مأمون (بحنق): كل هذا من بدوي الكلب، لم يؤد المطلوب منه. عموما بدوي والحيوان محمود موجودان عندنا.
ضابط 1: لقد حلف بدوي لي أنـه أعطـى المظـاريف لابنـه، وأن ابنه أوصلها للبيت، وكان الشيخ بالفعل مسافرا للقرية.
بدير (ضاربا المكتـب بقبـضته): لم يجـدوا أي خطابـات، وكـان الشيخ في بيته ، وأقسم أنـه لم يتـسلم شـيئا، وأقـسمت زوجتـه وبنتاه أنهما لم يريا أية مظاريف، وقال للصحفيين، اقرؤوا **(يشير للصحف)** إنه لا يعرف أي أقارب في الخليج ولا جمعيات خيريـة هناك، ويعيش حاليا على إيراد أرضه الزراعية في القرية.
ضابط 2: من وراء اختفاء المظاريف؟
ضابط 1: احتمالان لا ثالث لهما: إما أن بدوي لم يعط المظاريف، أو أن ابنه لم يوصل المظاريف.
مأمون: الاحتمال الأول مرفوض لأن واحد من رجالنا كان يتمشى بـالقرب مـن الكـشك وشـاهد وسـمع حـوار بـدوي مـع ابنـه. والاحتمال الثاني مرفوض أيـضا لأن الولـد صـعد بالفعـل لـشقة الشيخ وطرق الباب كما ذكر رجلنا.
بدير (ضاحكا): والاحتمال الثالـث أن الولـد إبـراهيم لعـب بنـا جميعا، فقد ذكر أن الشيخ مسافر ولم يكن الشيخ مسافرا، وأنـه أعطى المظاريف وفي الحقيقة لم تصل لـشقة الـشيخ، بمعـنى أن الولد تلاعب بنا جميعا.
مأمون: إبراهيم!
بدير (يدق جرسا على مكتبه): نادوا على بدوي ومحمود.
(يدخل بدوي ومحمود)
بدير (ناظرا لبدوي): نهارك أسود أنت وابنك، بل كل أهلك.

بدوي (مصفر الوجه): يا سعادة الباشا أنا أديت المطلـوب منـي كله، وابني سلم المظاريف...، ولكن ربنا ما قدّر.
مأمون (ممسكا بخناق بدوي): هل ستخدعنا ثانية؟
بدوي: أي خداع يا باشا، أنا أخدمكم منذ أكثر من عشرين سنة.
بدير: أين ابنك إبراهيم؟ نريده.
بدوي: في البيت أو الشارع.
بدير: ستبقى معنا لحين إحضار ابنك، حتى نعرف من وراءه، من أتباع الشيخ.
(ينادي على الحرس)
بدير: خذوا محمود وبدوي في الحبس الآن.

المشهد السادس

(في ساحة بيت بدوي البسيط، نشاهد زوجته أم الخير ومعها مرشد لأمن دولة الذي اجتاز عتبة الباب ووقف في الساحة)

أم الخير: خيرًا يا عم.

المرشد: أين إبراهيم؟

أم الخير: لا أعلم والله، لم يظهر منذ أربعة أيام.

المرشد: نعرف هذا. أسألك ألم يأت أو تريه؟

أم الخير (بقلق): أبدا والله، أظنه في بيت واحد من أصحابه.

المرشد (بقرف): هو متهم وكذلك أبوه بدوي.

أم الخير: متهمان، لماذا؟ ماذا فعلا؟

المرشد (ينظر لها باحتقار): شكلك "قرشانة" لن تفهمي شيئا، الله يعينك يا بدوي على امرأتك.

أم الخير (تلطم): ريحني يا أخي، الله يريحك.

المرشد: بدوي محجوز في الأمن، ونبحث عن ابنك إبراهيم لأنه متهم بالانتماء لتنظيم لقلب نظام الحكم.

أم الخير (تواصل لطمها وصراخها): يا ربي أغثني، أخسر الرجل وابنه في لحظة واحدة.

المرشد (بزهق): رجلك لا فائدة منه، ماذا يعجبك فيه، خذي معاشه أحسن لك، أما ابنك فاطلبي العوض من ربنا عليه، لأنه مطلوب من أمن الدولة.

أم الخير: كل هذا من حسد النسوان في الحارة، من ساعة ما اشترينا الكشك وعيونهن تلدغنا في الليل والنهار.

المرشد: أي كشك اشتريتموه يا وليّة؟ الكشك هذا منحة من أمن

الدولة لزوجك، يعني لم يدفع فيه مليما واحدا.
أم الخير (تلطم): آه يا خرابي، يا بدوي يا ابـن الكلـب، ضـحكت عليّ، أخذت ثمن الذهب كله، آه، راحـت فلـوسي وذهـبي عـلى كيفك الوسخ.
(إظلام، مصحوب بموسيقى صاخبة، يقطعها صراخ أم الخير)

المؤلف

د.مصطفى عطية جمعة
أديب وناقد وباحث أكاديمي
عضو اتحاد كتاب مصر، ونادي القصة بالقاهرة.

صدر له:

- وجوه للحياة، قصص، نصوص 90، القاهرة، 1997م
- نثيرات الذاكرة، الجائزة الأولى في الروايـة، دار سـعاد الـصباح، القاهرة / الكويت، 1999م
- دلالة الزمن في السرد الروائي، نقد، جائزة النقد الأدبي، الشارقة، 2001
- شرنقة الحلم الأصفر، رواية، الجائزة الثانية في الرواية عن نادي القصة المصري، 2002، ومركز الحضارة العربية، 2003م.
- طفح القيح، قصص، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2005م.
- أشكال السرد في القرن الرابـع الهجـري، نقـد، مركـز الحـضارة العربية، القاهرة، 2006
- أمطار رماديـة، مـسرحية، مركـز الحـضارة العربيـة بالقـاهرة، 2007م.
- هيكـل سـليمان (إسـلاميات)، دار الفـاروق للنـشر، القـاهرة، 2008م.
- ما بعد الحداثة في الرواية العربية الجديـدة، مؤسـسة الـوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010.
- نتوءات قوس قزح، رواية، سندباد للنشر، القاهرة، 2010.
- اللحمة والسداة، نقد أدبي، سندباد للنشر، القاهرة، 2010

- الرحمة المهداة، خلق الرحمة في شخصية الرسول (ص)، إسلاميات، مركز الإعلام العربي، القاهرة، 2011 م.
- المحطة الفضائية الدولية. رواية للأطفال، مكتب دول الخليج العربي للتربية، الرياض.
- سفينة العطش، مسرحية للأطفال،، مكتب دول الخليج العربي للتربية، الرياض.

تحت الطبع:

- الظلال والأصداء، نقد أدبي، منشورات اتحاد الكتاب بالقاهرة.
- الحوار في السيرة (إسلاميات).
- الفصحى والعامية والإبداع الشعبي: قضايا وجماليات.
- رواد فضاء الغد، قصص للأطفال.
- الحكيم والصبيان، مسرحيات للطفل .

جوائز دولية:

- جائزة المركز الثاني في مسابقة (محمد حافظ رجب)، مختبر السرديات بالأسكندرية (2011)، عن بحث "اختراق الوعي في سرد محمد حافظ رجب".
- جائزة اتحاد كتاب مصر (علاء الدين وحيد في النقد الأدبي) عن كتاب اللحمة والسداة، 2011.
- جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية، في أدب الطفل، عن رواية "المحطة الفضائية الدولية"، ومسرحية "سفينة العطش"، 2011 م
- جائزة المركز الأول في النقد الأدبي، مسابقة إحسان عبد القدوس، القاهرة 2009 م.

- الجائزة الأولى في الرواية، دار سعاد الصباح، الكويت، 1999م.
- الجائزة الثالثة في النقد الأدبي، جائزة الشارقة، 2000
- الجائزة الثانية في الرواية، نادي القصة، القاهرة، 2001.
- الجائزة الثانية، لجنة العلوم السياسية، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1999م، بحث "مصر والعولمة".
- الجائزة الثالثة، مركز الخليج للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة/ البحرين، 2002، بحث "مؤشرات التطور الديمقراطي في البحرين".
- أربع جوائز عن بحوث فكرية في مسابقة الكويت الدولية الإسلامية،
- ثلاث جوائز عن قصص قصيرة في مسابقة الكويت الدولية الإسلامية.
- جائزة (المركز الثاني) في مسابقة الشخصيات الخيرية في الكويت، 2007م.

الإيميل: mostafa_ateia123@yahoo.com
mostafa_ateia1234@hotmail.com

الفهرس

- أنامل في الشمس 5
- أم نعمة 65
- مونودرما: الشحاذ 103
- مونودرما: شعرة من صخب 131
- مقيم شعائر النظام 147

حقوق الطبع محفوظة
© دار الأدهم للنشر والتوزيع